إعانة نشء البلاد على فهم لمُعةِ الاعتِقادِ

لِفضيلةِ شَيخِنا أبي الحَسنِ عَليِّ بنِ مُختارٍالرَّمليِّ

-حَفظَهُ اللهُ تَعَالى-

اعتنَى بِهِ وخَرَّجَ أَحادِيثَهُ

أَبو حُذيفةَ مَحمُودُ بنُ مُحمَّدٍ الشَّيخُ

وأبو حمزة محمد حرز الله

المقدمة

الحمد لله، والصّلاة والسّلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أمّا بعد؛ فهذا شرح لكتاب لمعة الاعتقاد الّذي ألّفه الإمام العلامة موفق الدّين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسيّ- رحمه الله تعالى-.

هذا الكتاب هو كتاب في العقيدة، وكلمة العقيدة مأخوذة من (العقد) وهو الرّبط والشّد بقوة، هذا الأصل اللّغوي لها، وهي في الاصطلاح: ما عقد المرء قلبه عليه وجزم به.

والعقيدة، والإيمان، والسّنّة -على بعض معانيها-، والشّريعة؛ كلّها بمعنى واحد؛ فالسّلف كانوا يسمّون كتب العقيدة بالسّنّة، وأيضاً سمّاها بعضهم بالشّريعة وبعضهم بالإيمان وبعضهم بالاعتقاد. والعقيدة هي أهمُّ أمور دين الله تبارك وتعالى؛ لأنّ العقيدة يترتب عليها العمل فلا يعمل المرء حتّى يعتقد، فإذا اعتقد عمل بمقتضى اعتقاده، قال النبي ﷺ : « أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً؛ إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ »(1).

واللّمعة في اللّغة لها عدة معانٍ: منها البُلْغةُ من العَيش، والبُلغة ما يكفي لسدِّ الحاجة، معناها هنا «لمعة الاعتقاد»: ما يكفي لسدِّ حاجة المسلم ممّا يجب أن يعقد قلبه عليه ويدين الله به.

أمّا المؤلف فهو:الشّيخ العلامة المجتهد موفق الدّين أبو محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسيّ الجَمَّاعِيليّ ثُمَّ الدّمشقيّ الحنبليّ المتوفى سنة (630هـ)، وهو صاحب كتاب «المغني»، وكتاب «المغني» أشهر كتب المؤلف رحمه الله تعالى، وهو كتاب فقه على ما يسمّى اليوم بالفقه المقارن، ويعنون بالفقه المقارن:ذكر المذاهب وأدلّتها، وله كتب أخرى في الفقه الحنبليّ، مثل:«المقنع» و«الكافي»و«العمدة»، وله كتب علمية أخرى مطبوعة ومتداولة بين طلاب العلم.

---

(1)أخرجه البخاري (52) ، ومسلم (1599) عن النعمان بن بشير τ.

أثنى عليه العلماء ثناءً عطراً في التّقوى والصّلاح والزّهد والعلم، وكان بارعاً في الفقه، وله مشاركة في فنون أخرى منها الحديث، وهو ابن خالة الحافظ عبد الغني المقدسيّ- رحمه الله تعالى-صاحب كتاب «عمدة الأحكام»، فهو إمام مشهود له بالعلم والتّقوى والصّلاح، وقد ألّف الضّياء المقدسيّ رحمه الله تعالى في سيرته كتاباً، ونقل الذّهبيّ رحمه الله تعالى في سيرة المؤلف من هذا الكتاب بعض الفقرات، من ذلك قول الضّياء المقدسيّ- رحمه الله تعالى-:

«وسمعت الحافظ اليُونِينيّ يقول: لما كنت أسمع شناعة الخلق على الحنابلة بالتّشبيه عزمت على سؤال الشّيخ الموفق».

كان النَّاس في ذاك القرن: القرن السّادس والسّابع، كان الكثير منهم على المذهب الأشعريّ،وكان الحنابلة يعرفون بتمسكهم بمذهب السّلف، مذهب أهل السّنّة والجماعة، ولا يعني ذلك أنّ كلّ الحنابلة على هذا المذهب، لا ولكن كان الحنابلة مشهورين معروفين بذلك، فاليونينيّ كان يعيش في ذاك العصر فسمع من علماء زمنه التّشنيع على الحنابلة وأنّهم كانوا مشبّهة، هذا حال المعطّلة، وإذا قلنا المعطّلة فنعني بهم: الجهمية، والمعتزلة، والأشاعرة، وكلّ من كان على منهجهم في تعطيل صفات الله- تبارك وتعالى-الّتي وردت في كتابه، أو في سنّة رسوله صلّى الله عليه وسلَّم، فهؤلاء المعطّلة كانوا يسمّون أهل السّنة مشبّهة، ويسمّونهم مجسّمة، وغير ذلك من الأسماء الباطلة، وإنّما يريدون بذلك تنفير النَّاس عمن حمل مذهب السّلف.

قال: «لمّا كنت أسمع شناعة الخلق على الحنابلة»-أي أنّ النَّاس يشنّعون عليهم بالتّشبيه- «عزمت على سؤال الشّيخ الموفق، وبقيت أشهراً أريد أن أسأله، فصعدت معه الجبل، فلما كنّا عند دار ابن محارب قلت: ياسيدي، وما نطقت بأكثر من: ياسيدي، فقال لي: التّشبيه

مستحيل- إذ عرف ما يريد – فقال:التّشبيه مستحيل، فقلت: لمَ؟ قال: لأنّ من شرط التّشبيه أن نرى الشّيء ثُمَّ نشبّهه، من الّذيرأى اللهثُمَّ شبّهه لنا؟».انتهى

وذكر الضّياء حكايات في كرامات ابن قدامة-رحمه الله تعالى-.

وقال أبو شامة وهو من الأشاعرة: «كان -أي ابن قدامة- إماماً عالماً، في العلم والعمل، صنّف كتباً كثيرة، لكن كلامه في العقائد على الطّريقة المشهورة من أهل مذهبه – أي الحنابلة – فسبحان من لم يوضح له الأمر فيها على جلالته في العلم ومعرفته بمعاني الأخبار»، هكذا يقول أبو شامة، يستغرب من هذا الأمر، ولكن الذّهبيّ- رحمه الله تعالى- له تعليقات لطيفة وجميلة، فقال: «قلت: وهو وأمثاله يتعجبون منكم» أي كما أنّكم تتعجبون منه –أي ابن قدامة- هو أيضاً وأمثاله أي من كان على مذهبه:مذهب السّلف؛ يتعجبون منكم «مع علمكم وذكائكم كيف قلتم -أي في الصّفات– وكذا كلّ فرقة تتعجب من الأُخرى، ولا عجب في ذلك، ونرجو الله تعالى لكلّ من بذل جهده في طلب الحق من هذه الأمّة المرحومة أن يغفر له». انتهى

الشّاهد أن ابن قدامة- رحمه الله تعالى- كان إماماً من أئمة أهل السّنّة على المذهب الحنبليّ رحمه الله تعالى-.

وهذه العقيدة الّتي بين أيدينا ليست عقيدة الحنابلة فحسب، بل هي عقيدة السّلف قاطبة، عقيدة أئمة أصحاب القرون الثّلاثة الأولى،الّذين قال فيهم النّبيﷺ: « خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ»(1).

(1) أخرجه البخاري (2651) و (2652)،ومسلم (2533) و (2535) من حديث عبد الله بن مسعود وعمران بن حصين رضي الله عنهما.

ولكن يحاول بعض أهل البدع أن يخصوا هذه العقيدة بالحنابلة؛ كي يوهموا الناس أنّها عقيدة باطلة مخترعة تختص بطائفة معينة فقط ممّن مشى على مذهب إمامه الإمام أحمد في هذه العقيدة، وأرادوا من ذلك أن يفصلوا عقيدة الإمام أحمد عن عقيدة بقية أئمة الإسلام كالإمام مالك والشّافعيّ-رحمهم الله تعالى-، وهذا من أبطل الباطل وأكبر المحال؛فمالك والشّافعيّ-رحمهما الله تعالى- لهما كلام واضح في تقرير عقيدة السّلف، العقيدة الّتي كان عليها الإمام أحمد -رحمه الله تعالى-، ولكن الإمام أحمد أكثرَ من الرّدّ على تلك الفرق؛لأنّ أهل البدع اشتدت شوكتهم وصارت لهم كلمة في زمنه، هذا الّذي لم يكن حاصلاً في زمن الإمام مالك والإمام الشّافعيّ، وإلا فكلّهم -رحمهم الله تعالى-كانوا على عقيدة واحدة في الأسماء والصّفات وغيرها من مسائل الاعتقاد، كما سيأتي معنا في هذا الكتاب-إن شاء الله تعالى-.

وأمّا الحنبليّة أوالشّافعيّة أو المالكيّة فهذه مذاهب فقهيّة يختار منها الرّجل ما تبيّن له أنّه أكثر قرباً إلى الحق ، مع أنّنا نقول: ينبغي على طالب العلم أن يكون مُتّبعاً للكتاب والسّنّة ومنهج أهل الحديث في العقيدة والفقه، فإذا كانت المسألة فيها دليل من كتاب الله أو من سنّة رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم، وتبيّن له أنّ الحق في قول الشّافعيّ أخذ بقول الشّافعيّ، وإذا تبيّن له أن الحق في قول أحمد أخذ بقول أحمد، وإذا تبيّن له أن الحق في قول مالك أخذ بقول مالك... وهكذا ، فلا يتقيّد بمذهب رجل معين، ولا يُنزِّل كلام الرّجال منزلة كلام الله ورسوله ﷺ، فلم يأمرنا الله تبارك وتعالى أن نكون حنابلة، ولا أن نكون مالكيّة، ولا أن نكون شافعيّة ولا غير ذلك.

ولكن إذا كان المسلم ينتسب إلى هذه المذاهب،ثُمَّ إذا جاءه الدليل من الكتاب والسّنّة تمّسك به وترك المذهب الذي عليه؛ فلا ينكر عليه ذلك؛ لأنّه متبّعٌ لكتاب الله، ولسنّة رسوله صلّى الله

عليه وسلَّم، ولكن يكون الإنكار على الّذين يتركون كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ ويتمّسكون بقول فلان وفلان، هؤلاء الّذين يُنكر عليهم وبشدة.

مقدمة المؤلف

قال الشيخ الإمام العلامة موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي عليه رحمة الله:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمدُ للهِ المَحمودِ بكُلِّ لسانٍ، المَعبودِ في كلِّ زمانٍ، الذي لا يَخلُو من عِلمهِ مكانٌ، ولا يَشغلُهُ شأنٌ عن شأنٍ، جَلَّ عن الأشباهِ والأَندَادِ، وتنزَّهَ عن الصَّاحبةِ والأولادِ، ونَفَذَ حُكمُهُ في جميعِ العبادِ، لا تُمثِّلُهُ العُقولُ بالتفكيرِ، ولا تَتَوَّهَمَهُ القلوبُ بالتصويرِ.

{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: 11]

له الأسماءُ الحُسنى، والصفاتُ العُلى.

{الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى * لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى * وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى} [طه: 5 - 7]

أحاطَ بكلِّ شيءٍ علماً، وقهرَ كلَّ مخلوقٍ عِزةً وحكماً، ووسِعَ كلَّ شيءٍ رحمةً وعلماً

{يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا} [طه: 110]

موصوفٌ بما وصفَ به نفسَهُ في كتابهِ العَظيمِ، وعلى لسانِ نبيهِ الكريمِ.

الشرح

ابتدأ المؤلف-رحمه الله تعالى- بالبسملة؛ اقتداءً بكتاب الله تبارك وتعالى، وبسنّة رسوله صلّى الله عليه وسلَّم؛ فقد كان عليه الصّلاة والسّلام في الرّسائل يبدأ بالبسملة، كما في رسالته إلى هرقل، وأمّا في الخطب فكان صلّى الله عليه وسلَّم يبدأ بالحمد.

وأمّا الأحاديث الواردة في ذلك؛ كحديث أبي هريرة τ رفعه:«كُلُّ كَلَامٍ، أَوْ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُفْتَحُ بِذِكْرِ اللَّهِ، فَهُوَ أَبْتَرُ، أَوْ قَالَ: أَقْطَعُ»(1)، وما شابه ذلك من أحاديث فلا يثبت منها شيء، وإنّماالاقتداء بكتاب الله وسنّة رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم العمليّة.

ومعنى البسملة أي: أبدأ تأليفي هذا الكتاب مستعيناً بالله ذي الرّحمة العامّة والخاصّة، هذا معنى بسم اللهالرّحمن الرّحيم.

قال:(الحمد لله المحمود بكلّ لسان، المعبود في كلّ زمان).

الحمد: وصف المحمود بالكمال مع المحبة والتّعظيم، و«ال»فيه للاستغراق: أي جميع المحامدلله تبارك وتعالى.

المحمود: هو الله سبحانه وتعالى، **بكلّ لسان**: أي الّذي يستحق أن يحمد بكلّ لسان، لماذا قلنا هذا؟لأنّ الله تبارك وتعالى لم يُحمَد بكلّ لسان؛ فألسنة الكفرة والملحدين لا تحمد الله تبارك وتعالى، لذلك نقول هنا«المحمود بكلّ لسان»أي: الّذي يستحق أن يحمد بكلّ لسان.

المعبود في كلّ زمان: في كلّ زمن يوجد من يعبده تبارك وتعالى، فلا ينقطع زمن من الأزمان من عابديه.

---

(1)أخرجه أحمد (8712)،وأبو داود (4840) وابن ماجه(1894) والدّارقطنيّ في السّنن(883) وقال:تفردّ به الزّهريّ عن أبي سلمة عن أبي هريرة وأرسله غيره، ثُمَّ قال: ولا يصحّ الحديث، وقال: والمرسل هو الصّواب. وضعّفه الإمام الألبانيّ في الارواء(2).

قال:الّذي لا يخلو من علمه مكان: وهذا لِسِعة علمه تبارك وتعالى، علمه أحاط بكلّ شيء.

قال: ولا يشغله شأن عن شأن: لكمال قدرته يحيي ويميت، ويرزق ويمنع من غير أن يشغله شيء من هذه الأشياء عن شيء آخر، هذا لكمال قدرته تبارك وتعالى.

قال: جلَّ عن الأشباه: جلَّ: أي عظم شأنه فلا يشبهه شيء من مخلوقاته، تنزَّه عن ذلك، قال الله تبارك وتعالى:{**ليس كمثله شيء وهو السّميع البصير**}[الشّورى:11] هذه الآية أصل في نفي التّمثيل عن الله تبارك وتعالى، وفي إثبات صفاته، وأنّهما أمران لا يتناقضان ألبتة، أمران لا يتناقضان نفي التّمثيل مع إثبات صفاته تبارك وتعالى، فأنت تثبت لله أنّه سميع وأنّه بصير، ولكن في نفس الوقت تقول: سمعه ليس مثل سمع المخلوقين، وبصره ليس كبصر المخلوقين وهكذا.

قال: جل عن الأشباه والأنداد: النّد هو المثيل والنَّظير.

قال: وتنّزه عن الصّاحبة والأولاد: وهذا لعدم حاجته للولد ولا للصّاحبة أي الزوجة، فالله سبحانه وتعالى لا يحتاج إلى الصّاحبة والولد؛ لكماله تبارك وتعالى.

قال: ونَفذ حكمه في جميع العباد:

الحكم حكمان: حكم قدريّ وحكم شرعيّ، أمّا الحكم الشّرعيّ فليس نافذاً في جميع العباد؛ فكثير من العباد لا ينقادون لشرع الله تبارك وتعالى، وأمّا الحكم القدريّ فهو نافذٌ في جميع العباد، فكلّ ما أراده الله تبارك وتعالى إرادة كونية فهو حاصل ولا بد، قال تعالى: {**إنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون**} [يس: 36]، لا يخرج شيء عن قدرته تبارك وتعالى.

قال: لا تمثله العقول بالتّفكير، ولا تتوهمه القلوب بالتّصوير:

لا تستطيع القلوب أن تتصور ربها تبارك وتعالى، فلا يمكن ذلك، لا يمكن أن تتصور الله سبحانه وتعالى على صورة ما، لا يمكن أن يدرَك ذلك بالعقل، ولا يجوز لأحد أن يحاول ذلك، ولا قدرة لنا على ذلك، قال الله تعالى: {**ولا يحيطون به علماً**} [طه: 110]. **وقال** تبارك وتعالى: {**ليس كمثله شيء وهو السّميع البصير**[}الشّورى: 11]، ففي هذا نفيٌّ لوجود مماثل لله تبارك وتعالى، وفيه إثبات لصفات الله تبارك وتعالى، فلا يلزم من إثبات صفة السّمع والبصر وغيرهما من الصّفات الّتي أثبتها الله لنفسه في الكتاب أوفي السّنّة أن يكون مماثلاً لخلقه، لا يلزم ذلك ألبتّة، يدُلنا على ذلك النَّفيّ والإثبات الّذي في هذه الآية الّتي بين أيدينا{**ليس كمثله شيء**} نفيٌّ للمماثل، { **وهو السّميع البصير**} إثبات لصفة السّمع وصفة البصر.

قال: له الأسماءالحسنى والصّفات العلى**{الرّحمن على العرش استوى. له ما في السّماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثّرى. وإن تجهر بالقول فإنّه يعلم السّر وأخفى}** [طه: 5-7]:

الأسماء الحسنى أي البالغة في الحسن غايته، والصّفات العلى أي الصّفات العلية الرّفيعة الّتي لا يشبهها شيء، هذه ثابتة لله تبارك وتعالى.

والرّحمن هو الله تبارك وتعالى، فالرّحمن اسم الله تبارك وتعالى، وقد تضمّن صفة أيضاً، هي صفة الرّحمة، فنثبت لله تبارك وتعالى اسماً هو الرّحمن، ونثبت له أيضاً صفة هي صفة الرّحمة على معناها الحقيقي الّذييفهمه العرب.

ما الفرق بين الأسماء والصّفات؟

الاسم في أصله هو ما دلّ على الذّات، وأمّا الصّفة فهي معنى، فالأسماء مثل: السّميع، البصير، الحكيم، القدير، هذه أسماء كلّها تدلُّ على الذّات.

وهي أيضاً تتضمّن صفات، وهي بالنِّسبة لله حق، أي الصفات التي تدل عليها الأسماء، أمّا بالنِّسبة للعباد فيكون للعبد اسم وربما تضمن صفة، ولكن تارة يتحلّى العبد بالصّفة التي تضمنها اسمه، وتارة لا يتحلّى بها.

فأسماء الله تدلُّ على ذات وتتضمّن صفات، فإذا قلت: يغفر لي الغفّار، فالغفار هنا اسم دلَّ على ذات، وهو الله سبحانه وتعالى، فهو الّذي يغفر الذّنوب، ودلّت على صفة المغفرة أيضاً، فيجب أن نثبتها لله تبارك وتعالى.

وأمّا الصّفة فهي معنى، تدلّ على معنى فقط، ولا تدلّ على الذّات كالاسم، هذا الفرق بين الأسماء والصّفات.

قال الله تباركوتعالى: {**الرّحمن على العرش استوى**}.

الرّحمن هو الله رب العزة تبارك وتعالى.

على العرش: العرش في أصل اللّغة هو سرير الملك، وسرير الملك يكون بتلك الفخامة والعظمة المعروفة وهو سقف المخلوقات، هو أعلى المخلوقات كلّها، والرّحمن سبحانه استوى عليه، أي علا وارتفع بمقتضى اللّغة، استوى في اللّغة إذا تعدت بحرف (على) فمعناها العلوّ والارتفاع، فقد رجعنا إلى تفسير السّلف فوجدناهم فسروها بذلك.

الفرق بيننا وبين أهل البدع؛ أنّنا نرجع في ذلك إلى تفسير السّلف أصحاب القرون الأولى الّتي أثنى عليها النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم، فقال عليه الصّلاة والسّلام: « خير النَّاس قرني

ثُمَّ الّذين يلونهم ثُمَّ الّذين يلونهم»(1) ثُمَّ ذمَّ بعد ذلك القرون الأُخرى، فالحقُّ يكون ظاهراً وبكثرة عند أصحاب القرون الثّلاثة الأولى، وأفقه هذه الأمّة وأعلمها هم أصحاب هذه القرون الأولى، ومن نظر وتأمل وقارن بدا له ذلك جلياً،قال غير واحد من السّلف: «العلم قليل ولكن كثَّره الجاهلون»؛ فكثر الكلام والقيل والقال في كتب المتأخرين، وتجد المسألة عند المتقدمين يقتصرون فيها على كلمتين أو ثلاث وتنتهي المسألة من أصلها، فعلم المتقدمين فيه خير وبركة عظيمة وكثيرةً، وعلم المتأخرين كثير ولكنّه قليل البركة.

إذا رجعنا إلى تفسير السّلف في هذه الآية وجدنا أبا العالية الرّياحيّ-رحمه الله تعالى- من أئمّة التّابعين، وممّن تتلمذ على جمع من صحابة رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم يقول في الاستواء: استوى أي ارتفع، وقال مجاهد: استوى أي علا (2) وهذا موجود معلّق في صحيح البخاري، فـ«**الرّحمن على العرش استوى»:**أي علا وارتفع.

{ له ما في السّماوات وما فيالأرض وما بينهما وما تحت الثّرى} : له ما في السّماوات وما في الأرض وما بينهما، ما بين السّماوات والأرض، وما تحت الثّرى أي ما تحت الأرض، كلّ ذلك ملك له، عبيد مدبرون مسخّرون، تحت قضائه وقدره، لا يخرج من ذلك شيء.

{وإن تجهر بالقول فإنّه يعلم السّر وأخفى} : لكمال علمه تبارك وتعالى، يعلم السّر وهو ما تحدِّث به نفسك لا يسمعه أحد، يعلمه رب العزة تبارك وتعالى.

{ **وأخفى**} : وأخفى من ذلك، أي الّذي لم تحدِّث به نفسك بعد، كلّ ذلك يعلمه تبارك وتعالى.

---

(1) متفق عليه، تقدم تخريجه.

(2) أخرجه البخاري تعليقاً في كتاب التّوحيد، تحت باب«وكان عرشه على الماء»، والبغويَ في شرح السّنّة (171/1).

قال: (وقهر كلّ مخلوق عزة وحكماً، ووسع كلّ شيء علماً، {يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علماً}) [طه: 110]:

قهر: أي أخضعه لسلطانه، أخضع كلّ مخلوق لسلطانه، **عِزّة**: قوّة منه تبارك وتعالى، **وحكماً**: أي جعله تحت حكمه القدريّ، لا يتمكن أحد منهم من الخروج عن حكم الله تبارك وتعالى.

ووسع كلّ شيء علماً؛ فعلمه وسع كلّ شيء وكذلك رحمته، لا يخرج شيء عن علمه تبارك وتعالى، ورحمته وسعت الجميع.

{ **يعلم ما بين أيديهم**} : أي ما أمامهم من أمور الدُّنيا،**وما خلفهم** من أمور الآخرة، {**ولا يحيطون به علماً**}: لنقصهم وقصور إدراكهم عمّا يستحقّه الله تبارك وتعالى.

قال: (موصوف بما وصف به نفسه في كتابه العظيم، وعلى لسان نبيّه الكريم).

أي نثبت لله تبارك وتعالى من الصّفات ما أثبته لنفسه في كتابه الّذي هو القرآن، أو في سنّة نبيّه صلّى الله عليه وسلَّم أي الأحاديث الصّحيحة، لا فرق في ذلك بين متواتر وآحاد، وإنّما أحدث هذا التّفريق أهل البدع والضّلال؛ كي يتخلصوا من دلالة السّنة على صفات الله تبارك وتعالى، أرادوا أن يتخلّصوا من هذه الصّفات فما وجدوا من سبيل إلا بهذا التّفريق؛ كي يردّوا أحاديث الآحاد ويتخلّصوا منها، فلا يبقى عندهم إلا الأحاديث المتواترة وهي قليلة، وأحاديث الصّفات فيها أقل، ويُعمِلون فيها مِعوَل التّحريف الّذي يسمّونه تأويلاً، وبذلك يتخلّصون من السّنّة تماماً، في الدّلالة على صفات الله تبارك وتعالى، على ما سيأتي تفصيله بإذن الله تبارك وتعالى.

المتن

وكُلُّ ما جَاءَ فِي القرآنِ، أو صَحَّ عن المُصطفَى عليه السّلام مِن صفاتِ الرّحمنِ؛ وجبَ الإيمانُ بهِ، وتَلَّقِيهِ بالتّسليمِ والقَبُولِ، وتَركُ التّعرُضِ لهُ بالرّدِّ والتّأويلِ والتَّشبيهِ والتَّمثِيلِ.

وما أَشكلَ مِن ذلكَ وجبَ إثباتُهُ لَفظَاً، وتَركَ التَّعرضِ لمَعناهُ ونَردُّ عِلمهُ إلى قائلهِ، ونجعلُ عُهدَتَهُ على ناقلهِ؛ اتباعاً لطريقِ الرّاسخينَ في العلمِ الّذينِ أثنى اللهُ عليهم في كتابهِ المبينِ بقولهِ سبحانه وتعالى: {وَالرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كلّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا} [آل عمران: 7]

وقال في ذَمِّ مُبتَغِي التّأويلِ لمُتشابهِ تَنزِيلِه: {فَأَمَّا الّذين فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأوِيلَهُ إلا الله} [آل عمران: 7]

فجعلَ ابتغاءَ التّأويلِ علامةً على الزّيغِ، وقَرَنهُ بابتغاءِ الفتنةِ في الذّمِ، ثُمَّ حجَبَهُم عَمّا أَمَّلُوهُ، وقطعَ أطماعَهُم عَمَّا قَصدُوهُ، بقولهِ سبحانهُ: {وَمَا يَعْلَمُ تَأوِيلَهُ إلاالله} [آل عمران: 7]

الشرح

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (وكلّ ما جاء في القرآن، أو صحّ عن المصطفى عليه السّلام من صفات الرّحمن وجب الإيمان به).

أي كلّ ما جاء في الكتاب والسّنّة من صفات الله تبارك وتعالى،وجب الإيمان به،فإذا ثبتت عندنا صفة من صفات الله بآية من كتاب الله،أو بسنّة عن رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم، فيجب علينا أن نؤمن بها، فنصدّق بالصّفة، ونعتقد أنّ الله- عزَّ وجلَّ - متصّف بتلك الصّفة، ونتلقاها أيضاً بالتّسليم والقبول، بقبولها وعدم ردّها وعدم إنكارها، والانقياد لما جاء عن الله تبارك وتعالى، من غير اعتراض عليه بعقولنا.

هذا هو الواجب علينا تجاه الصّفات، وتجاه كلّ أمر جاء في كتاب الله، وفي سنّة رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم، والمقصود بما صحّ عن المصطفى صلّى الله عليه وسلَّم: جميع الأحاديث، سواء كانت هذه الأحاديث أحاديث متواترة، أوأحاديث آحاد، كلّها تقبل وكلّها تؤخذ بالتّسليم والقبول.

لا يفرِّق أهل السّنّة والجماعة ما بين الأحاديث المتواترة والآحاد، والأحاديث الواردّة في الصّفات كالأحاديث الواردّة في الأحكام لا فرق، هذا ما ذكره إسحاق بن راهويه- رحمه الله تعالى-عندما عرض عليه أحد الأمراء– وهو عبدالله بن طاهر – هذه المسألة، سأله عن حديث نزول الرّحمن تبارك وتعالى، فقال: «أيُّها الأمير، إنّ الله تعالى بعث إلينا نبياً، نقل إلينا عنه أخباراً، بها تحلل الدّماء وبها تحرَّم، وبها تحلل الفروج وبها تحرَّم، وبها تباح

الأموال وبها تحرَّم، فإن صحّهذا صحّ ذاك، وإن بطل هذا بطل ذاك، قال: فأمسك عبدالله»[1].

أحاديث الصّفات جاءنا بها الّذين جاءونا بأحاديث الأحكام، لا فرق، هكذا كان السّلف- رضي الله عنهم -يتعاملون مع أحاديث الصّفات، لا يفرّقون بين متواتر وآحاد، هذه البدع المحدثة الّتي أحدثها أهل البدع؛ من أخذ الصّفات من الأحاديث المتواترة، دون أحاديث الآحاد، وعدم ردّ الأحاديث المتواترة إذا جاءت في الصّفات، وردّ أحاديث الآحاد، هذه بدعة ابتدعها العقلانيّون، أمَّا أهل السّنّة والجماعة فيقبلون جميع الأحاديث عن النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم في الصّفات سواء كانت متواترة أم كانت أحاداً، لا فرق عندهم.

السّبب الّذي جعل العقلانيين يفرِّقون هذا التّفريق هو:التّخلّص من الكثير من سنّة النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم، عندما أصلوا أصولهم الفاسدة، وواجهتهم هذه الأحاديث،أرادوا أن يتخلَّصوا منها فوضعوا بدعتهم هذه، وقالوا: إن أحاديث الآحاد لا تقبل في الصّفات، ثُمَّ الأحاديث المتواترة إذا خالفت خيالاتهم وجهلاتهم العقلية؛ أخذوا يحرِّفونها ويتلاعبون بها ويغيّرونها ويشكلّونها كما يحبُّون، فأحاديث الآحاد مردودة عندهم، والأحاديث المتواترة محرّفة. وانتهى، هكذا تخلّصوا من أدلّة السّنّة كلّها، وحكموا عقولهم وأهواءهم على الله .

قال:(وجب الإيمان به وتلّقيه بالتّسليم والقبول، وترك التّعرض له بالرّدّ والتّأويل والتّشبيه والتّمثيل).

(1)صحيح، صححه الألباني في مختصر العلو(235)، أخرجه البيهقيّ في الأسماء والصّفات برقم(950)، وذكره ابن تيمية عن عبد الرّحمن بن أبي عبدالله بن منده بسنده الى إسحاق (مجموع الفتاوى 389/5)، وأخرج اللالكائيّ طرفاً منه بلفظ آخر في شرح أصول اعتقاد أهل السّنّة والجماعة برقم (774).

فلا يجوز لنا أن نتعرض لصفات الله تبارك وتعالى بالرّدّ أي يحرم رفضها، فما ثبت في الكتاب والسّنّة من صفات الله تبارك وتعالى يحرم أن ننكره، والواجب علينا أن نعتقده كما تقدم.

قال: «**التّأويل**»؛ أي يجب عدم التّعرض لها بالتّأويل، والمراد بالتّأويل هنا: صرف اللّفظ عن ظاهره، عن حقيقته الّتي تقتضيها اللّغة العربية، هذا التّأويل محرم هنا، الّذي هو صرف اللّفظ عن ظاهره أو تفسير المعنى بغير حقيقته، هذا مردود محرم استعماله في الصّفات، وأي دليل شرعيّ في الكتاب والسّنّة لا يجوز لك أن تصرفه عن ظاهره المتبادر للذهن إلا إن وُجِد دليل صحيح يدلُّ على صحة الصّرف.

والتّأويل يرد على ثلاثة معانٍ:

المعنى الأول: التّفسير، وهو استعمال الكثير من المفسِّرين كابن جرير وغيره عندما يقول: « وتأويل هذه الآية كذا وكذا» أي: تفسيرها.

المعنى الثّاني: الحقيقة الّتي يؤول إليها الكلام، أي الّتي يصير إليها الكلام، ومن ذلك قول يوسف عليه السّلام كما في قوله تعالى عنه: **{يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل}**[يوسف: 100]، عندما وقعت وتحققت الرّؤيا قال لأبيه: هذا تأويل رؤياي، أي هذا ما آلتإليهالرّؤيا فهذا وقوعها، هذا المعنى الثّاني للتأويل.

المعنى الثّالث- هو المعنى الاصطلاحيّ الّذي ذكرناه-: وهو صرف اللّفظ عن ظاهرهلدليل صحيح، هذا التأويل غير جائزإلا مع وجود الدّليل الصحيح.

فقوله: «وترك التّعرض له بالرّدّ والتّأويل» أي التّفسير الباطل الّذي هو التّحريف أوالتّأويل الفاسد وهو صرف اللّفظ عن ظاهره بغير دليل أصلاً، أو مع دليل باطل.

قال: والتّشبيه، إثبات مشابه لله تبارك وتعالى فيما يختصُّ به من الصّفات، كأن تقول له يد كأيدينا.

قال: والتّمثيل، أيضاً يحرم إثبات مماثل لصفاته.

قال: (وما أشكل من ذلك وجب إثباته لفظاً وترك التّعرض لمعناه).

في الشّطر الأول تكلّم المصنِّف- رحمه الله تعالى- عن القسم الأول من الصّفات، وهو القسم الواضح في معناه، الّذي لا خفاء فيه **{الرّحمن على العرش استوى}** كلام واضح وصريح، نثبت به صفة الرّحمة لله تبارك وتعالى، ونثبت به صفة العلوّ والارتفاع على العرش، هذه الصّفات يجب الإيمان بها، وتلّقيها بالتّسليم والقبول، ولا يجوز التّعرض لها بالرّدّ، أوالتّمثيل، أوالتّأويل، أو التكييف، فنحن نعلم معناها بدلالة اللغة التي نزل بها القرآن وبتفسير السلف الصالح لها، ولا نعلم كيفيتها؛ لأن الله تبارك وتعالى لم يخبرنا بها، فنؤمن بما أخبرنا به، ونسكت عما سكت عنه.

القسم الثّاني: وهو ما أشكل من ذلك، يشكل على بعض النَّاس دون بعض، بعض الصّفات تمر بالشّخص؛ فيقف حائراً أمامها، هل تُثبت مثل هذه أم لا تُثبت؟ أو ما هو معناها؟ يختلط عليه الأمر فلا يتمكن من فهم معناها، ففي هذه الحالة يردّ علمها إلى الله تبارك وتعالى، لا يتكلّم فيها ولا يخوض فيها، يردّ علمها إلى الله تبارك وتعالى.

قال: (ونردّ علمه إلى قائله، ونجعل عهدته على ناقله).

اللّفظ نؤمن به، نؤمن باللّفظ؛ لأنّه ثابت بالدّليل الشّرعي من الكتاب والسّنّة، لكن المعنى الّذي يشكل عليك هو الّذي تردّه إلى الله سبحانه وتعالى.

وترك التّعرض لمعناه، ونردّ علمه إلى قائله، فنقول: الله أعلم به. ونجعل عهدته على ناقله؛ أي نحمل مسؤوليته الثّقات الّذين نقلوه لنا عن النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم.

قال: (اتباعاً لطريق الرّاسخين في العلم، الّذين أثنى الله عليهم في كتابه المبين- في القرآن- بقوله سبحانه وتعالى{ والرّاسخون في العلم يقولون آمنَّا به كلّ من عند ربنا }).

الرّاسخون في العلم، هم الّذين ثبتت أقدامهم في العلم الشرعي، وصار العلم بالنّسبة لهم كالجِبلَّة، هؤلاء هم الرّاسخون في العلم.

الّذين أثنى الله عليهم في كتابه المبين- في القرآن- بقوله سبحانه وتعالى:{**والرّاسخون في العلم يقولون آمنَّا به كلّ من عند ربنا}**: كلّ هذا، القرآن وما جاء فيه من صفات؛ كلّها من عند الله تبارك وتعالى، فصار عندنا قسمان لصفات:

القسم الأول: قسم واضح بيّن لا إشكال فيه، وهذا يثبت لفظه ومعناه، وأكثرالصّفات من هذا القبيل.

القسم الثّاني: وهو ما أشكل معناه، نثبت لفظه ونفوِّض معناه إلى الله تبارك وتعالى، لكن هذا الإشكال لا يكون مشكلاً على الأمّة كلها، قد يشكل على شخص دون آخر، يشكل على زيد ولا يشكل على عمرو، فيكون مفهوماً بالنّسبة لعمرو، ولكن بالنّسبة لزيد أشكلت عليه صفة من الصفات؛ فيفوّض معناها إلى الله تبارك وتعالى؛ لأنّها مُشكلة عليه، فهو داخل في قول الله تبارك وتعالى: { **فاتقوا الله ما استطعتم}** [التّغابن: 16]، هذا ظاهر كلام المصنّف، وأنّه يريد هذا المعنى، ولكن البعض فهم أنّ المؤلف يقرّر ما قرَّره المفوِّضة هاهنا، وهذا خطأ، فالذّي يريده المصنّف- والله أعلم - هذا المعنى الّذي ذكرناه، فمن أشكلت عليه أي مسألة

علمية من الكتاب والسّنّة وجب عليه أن لا يخوض فيها، إذا لم يتمكن من فهم معناها، فيفوّض أمرها إلى الله سبحانه وتعالى.

ولكن ما هو مذهب المفوِّضة؟

المفوِّضة هم الّذين يقولون: نفوِّض المعنى والكيف إلى الله، تقول: (استوى)، يقول لك هذه الكلمة لا نفهم معناها، يفوِّضون المعنى والكيف أي لا يثبتون معناها الحقيقي لله ولا يفسرونها بغير معناها الحقيقي، هؤلاء المفوّضة لا يثبتون الصّفات لله سبحانه وتعالى فهم يفوِّضون المعنى لله ولا يثبتونه، فهو مذهب الجهل بصفات الله تبارك وتعالى، هذا هو مذهب المفوّضة، والمفوّضة هؤلاء قسم من الأشاعرة، فالأشاعرة قسمان: مفوِّضة، ومؤولة (محرِّفة)، فالمؤولة يحرِّفون الصّفات عن معانيها الصّحيحة، والمفوِّضة يفوِّضون معاني الصّفات ويقولون: الله أعلم بمعانيها، فلا أحد يعلمها.

فالمؤولة الّذين يحرِّفون الصّفات يقولون: الرّحمة هي إرادة الإحسان،أي حرّفوها عن معناها الحقيقي، ومالوا بها، واليد هي النعمة أو القوة، حرّفوها، وهذا من الباطل، اليد شيء والقوة شيء آخر ربما تكون لازمها، الرّحمة غير إرادة الإحسان، إرادة الإحسان لازم من لوازم الرحمة وليست هي نفسها، فهي لازمها وليست هي نفسها.

فالأشاعرة يقسمون أنفسهم إلى قسمين: مؤولة ومفوِّضة.

وينسبون مذهب التّفويض إلى السّلف، يقولون: إنّ السّلف كانوا مفوِّضة، لذلك يقول قائلهم: مذهب السّلف أسلم، ومذهب الخلف أعلم وأحكم، يعنون بمذهب السّلف: التفويض، والمفوِّضة جهلة يعترفون بجهلهم بالصفات، فجعلوا السّلف جهّالاً، من هنا عظَّموا علمهم وعظَّموا أنفسهم؛ فاغتروا بحالهم، فانحرفوا عن جادة الصّواب، بتركهم لاتباع السلف الذي

أمرهم الله به.

استهانوا بالسّلف وعلمهم، وقللوا من شأنهم واحتقروا علمهم، فأدّى بهم الحال إلى الكفر بما أثبت الله تبارك وتعالى لنفسه من الصّفات.

فالخلاصة: أنَّ الأشاعرة منهم مؤولة، وهؤلاء الّذين يحرِّفون الكلام ولا يثبتون الصّفات على حقيقتها، ويفسِّرونها تفسيرات باطلة من عندهم.

وقسم آخر هم المفوِّضة الّذين يفوِّضون معاني الصّفات ولا يثبتونها، فهذا التّفويض باطل محرم، فهو إعراض عما أمرنا الله تبارك وتعالى به من الإيمان بكتابه المبين.

قال: (وقال في ذم مبتغي التّأويل لمتشابه تنزيله{ فأمّا الّذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلاالله}).

فأمّا الّذين في قلوبهم زيغ: أي ميل عن الحق ولهم مقاصد فاسدة.

فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله: أي يتبعون ما تشابه من الآيات الّتي وردت، ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله.

وما يعلم تأويله إلاالله، وقد ذكرنا معنى التّأويل فيما تقدّم، فهؤلاء الّذين في قلوبهم زيغ يتبعون ما تشابه منه، يتركون الآيات المحكمات ويتّبعون المتشابهات.

فالقرآن منه محكم ومنه متشابه، قال الله تبارك وتعالى:{**هو الّذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنَّ أمّ الكتاب وأخر متشابهات فأمّا الّذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلاالله والرّاسخون في العلم يقولون آمنَّا به كلّ من عند ربنا**}[آل عمران: 7]

آيات القرآن مقسّمة إلى قسمين: محكمات، ومتشابهات.

المحكمات؛ قال الله تبارك وتعالى فيهن:**{هنّ أمّ الكتاب}**: أي أصل الكتاب، فيجب أن يُعتمد عليها في تقرير المعاني، آيات محكمات أي واضحات المعنى والدّلالة لا إشكال فيها.

وأخر**متشابهات،** يلتبس معناها على الكثير من الناس، تحتمل أكثر من معنى، ففيها غموض، فالواجب علينا عندما تمُّر بنا الأدلة المتشابهة أن نردّها إلى المحكمة، ونفهمها بناءً على المحكم، فيكون الأصل عندنا في تقرير المعنى الآيات المحكمات، ثُمَّ المتشابهات تردّ إليهن.

مثال ذلك: عندنا أدلة كثيرة وكثيرة جداً تدلُّ على علوِّ الله سبحانه على خلقه، منها قول الله تبارك وتعالى{**الرّحمن على العرش استوى**}[طه: 5]، ومنها قول النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم للجاريّة: « أين الله؟ قالت: في السّماء، قال: اعتقها فإنّها مؤمنة»(1).

آيات وأحاديث كثيرة جداً أوصلها بعضهم إلى ألف دليل يدلّ على علوّالله على خلقه، هذه محكمة، دلالتها واضحة صريحة لا خفاء فيها، فمثل هذه هي الّتي تقرر المعنى الّذين تحدث عنه، ثُمَّ إن جاءتنا آية أو حديث يحتمل أكثر من معنى، يحتمل هذا المعنى الظّاهر ويحتمل معنى آخر، ثانياً أو ثالثاً أو رابعاً، ماذا نفعل به؟ نردّه إلى المحكم.

مثاله: قال الله تبارك وتعالى{**وهو معكم أين ما كنتم**}[الحديد: 4]، آية في هذا الباب متشابهة فتردإلى المحكم، نقرأ الآية من أولها إلى آخرها، نجدها تدلُّ على العلم، **{وهو معكم أينما كنتم}**،بماذا؟ بعلمه، رددناها إلى المحكم وفهمناها بناء عليه ، هكذا يكون فهم آيات الله،

(1) أخرجه مسلم (537)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وسنن النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم، تأخذ الدّليل الواضح في المعنى وتجعله أصلاً، ثُمَّ تردّ إليه المتشابه، هذه هي طريقة الرّاسخين في العلم.

{ **والرّاسخون في العلم يقولون آمنا به كلّ من عند ربنا** }[آل عمران: 7]، لكن هل الوقف في هذه الآية عند قول الله تبارك وتعالى**{ وما يعلم تأويله إلاالله }**نقف ثُمَّ نكمل قوله تعالى: **{ والرّاسخون في العلم يقولون آمنًا به كلّ من عند ربنا}**، فيكون الّذي يعلم التّأويل هو الله سبحانه وتعالى فقط؟ أم نكمل قوله تعالى: {**وما يعلم تأويله إلاالله والرّاسخون في العلم}** فنقف عند قوله {**والرّاسخون في العلم**}، فيكون الّذي يعلم التّأويل الله والرّاسخون في العلم، كما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّه كان يقول: « أنا من الّذين يعلمون تأويله»(1)لأنّه من الرّاسخين في العلم.

هنا عندنا تفصيل، وهذا هو الرّاجح في فهم معنى هذه الآية: فنقول إن كان المقصود من التّأويل:التّفسير؛فالوقف يكون على{**والرّاسخون في العلم**}، فيكون الّذي يعلم تفسير القرآن هو الله سبحانه وتعالى والرّاسخون في العلم؛ لأنّ القرآن وصفه الله سبحانه وتعالى بأنّه واضح وبأنّه بيّن وبأنّه هدى، فهذا كلّه يقتضي أن لا غموض في القرآن؛ لأنّه لا يوجد آية في كتاب الله لا تفهمها الأمّة بالكامل، ربما تخفى معاني بعض الآيات على البعض، لكنّها لا تخفى على جميع أمّة محمد صلّى الله عليه وسلّم، بل لا بد أن يوجد من يفهم كتاب الله تبارك وتعالى.

(1) أخرجه الطبري في تفسيره (6632)، وابن المنذر في تفسيره (258) وغيرهما.

أمّا إذا كان المعنى: ما تؤول إليه حقيقة الأمر، فيكون الوقف على قوله: {**إلا الله**} لأنّه لا أحد يعلم حقائق ما يكون يوم القيامة - مثلاً-إلا الله سبحانه وتعالى، فيكون الوقف عند{إلا الله}، وبهذه الطّريقة نصل إلى الصّواب في فهم الآية. والله أعلم

قال**{ فأمّا الّذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه}**هذه علامة وضعها ربنا تبارك وتعالى لتمييز الّذين في قلوبهم زيغ عن غيرهم من أهل العلم.

فالذّي في قلبه مرض يترك المحكمات ويذهب إلى المتشابهات، من الأمثلة على ذلك أنّك تجد من أهل الانحراف من يترك قول النّبي صلّى الله عليه وسلَّم: «ليكوننّ من أمّتي أقوام يستحلُّون الحر والحرير والخمر والمعازف»(1)ويتعلَّق في حلِّ الموسيقى بقول النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم لأبي موسى: « لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود»(2)، فتعرف مباشرة أنّ مثل هذا في قلبه مرض، في قلبه زيغ، يتعلّق بالمتشابه ويترك المحكم، عندنا أحاديث واضحة تدلُّ على تحريم الموسيقى والمعازف، فيأتي مثل هذا ويتعلّق بهذا الحديث، والمتأمل فيه يعرف أنّ شبهته في هذا الحديث أوهى من خيوط العنكبوت، فالمزمار في لغة العرب يطلق على الصّوت الحسن، ولم يكن في يد أبي موسى مزمار أمام النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم، ولا داود عليه السّلام كان يستعمل المزمار.

فالمزمار يطلق على الصّوت الحسن، وهذا ما عناه النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم في قوله لأبي موسى، فداود عليه السّلام كان صوته حسناً، وأبو موسى الأشعريّ كذلك.

---

(1) أخرجه البخاري (5590) وأحمد بنحوه (22231) عن أبي مالك الأشعريّ رضي الله عنه، وعلى قول من قال هو معلق عند البخاري، فقد وصله غير واحد من أهل العلم بأسانيد صحيحة ، راجع لها مختصر علوم الحديث لابن كثير.

(2) أخرجه البخاري (5048) ومسلم (793) عن أبي موسى الأشعريّ رضي الله عنه.

فمثل هذا عندما تسمع كلامه تعرف أنّه من الّذين يتعلقون بالمتشابهات ويتركون المحكمات، كذلك أهل البدع والضّلال الّذين حرّفوا صفات الله تبارك وتعالى، والّذين نفوا عن الله تبارك وتعالى أسماءه، والّذين ضلّوا في مسائل القدر، والّذين ضلّوا في مسائل الإيمان؛ كالمرجئة والخوارج وغيرهم من أهل الضّلال؛ يتركون الأدلّة المحكمة ويتعلّقون بالمتشابهة.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (فجعل ابتغاء التّأويل علامة على الزّيغ) ابتغاء تأويل المتشابه، **(وقرنه بابتغاء الفتنة في الذّم)**؛ لأنّهم يريدون أن يفتنوا عباد الله تبارك وتعالى عن الحق.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (ثُمَّ حجبهم عمَّا أمَّلوه، وقطع أطماعهم عمَّا قصدوه بقوله سبحانه وتعالى{ وما يعلم تأويله إلاالله }): أغلق عليهم الباب وقطع عليهم الوصول إلى أطماعهم الفاسدة.

هذا تقعيد وتأصيل من المؤلف للواجب على المسلم ناحية الأسماء والصّفات الّتي تردّ في كتاب الله وفي سنّة رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم.

فعقيدة أهل السّنّة والجماعة أن نثبت لله تبارك وتعالى كلّ ما أثبت لنفسه في الكتاب أو في سنّة النّبي صلّى الله عليه وسلَّم من الأسماء والصّفات على حقائقها، لا نحرِّفها، ولا نكيِّفها، نؤمن بها على حقيقتها الّتي جاءت من عند الله تبارك وتعالى، على مراد الله كما سيأتي من كلام السّلف رضي الله عنهم.

فالقاعدة عندنا، والّتي خرجنا بها من الآية المذكورة، هي أن بعض الآيات محكمة واضحة، وبعضها متشابهة فيها غموض في معانيها، فالمتشابه يردّ إلى المحكم، هذه طريقة

الرّاسخين في العلم، أمّا طريقة أهل البدع والضّلال والزّيغ فإنّهم يتعلّقون بالمتشابه ويتركون المحكم، هذه علامة فارقة بين هؤلاء وهؤلاء.

وهنا نذكر فائدة، وهي:

أنَّ الله سبحانه وتعالى وصف آيات الكتاب الكريم بأنَّ منها محكماً ومنها متشابهاً كما تقدَّم معنا، من ذلك قول الله تبارك وتعالى{**هو الّذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أمّ الكتاب وأخر متشابهات** }[آل عمران: 7]، وجاء أيضاً في كتاب الله بأنَّ الله سبحانه وتعالى وصف كتابه بأنَّ آياته كلّها محكمة، فقال: {**كتاب أحكمت آياته**}[هود/1]، وقال في أخرى {**الله نزَّل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً**)[الزّمر/23]، فوصف كتابه كلّه بالمتشابه.

ففي آية جعل جميع الآيات محكمة، وفي أخرى جعل جميعها متشابهة، وفي ثالثة جعل بعض الآيات محكمة والبعض الآخرمتشابة.

وطريقة الجمع بين هذه الآياتأن نقول معنى المحكم والمتشابه يختلف .

ففي الآية التي ذكر فيها أن منه محكمات ومنه متشابهات، يكون معنى المحكم الواضح البين، أي أنّها آيات واضحات لا إشكال فيها، ومعنى المتشابهات فيها أنها تحتمل أكثر من معنى فتُشكِل فلا يفهم المراد منها إلا بردها إلى المحكم.

والمراد بالمحكم في الآية الّتي وصف فيها آياته بأنّها كلّها محكمة: الإتقان، فجميع الآيات متقنة {**كتاب أحكمت آياته** } أي أتقنت.

وفي وصفه للآيات بالمتشابهات أي يشبه بعضها بعضاً في الصّدق والحق والحسن.

هذا هو الجمع بين هذه الآيات. والله تعالى أعلم.

المتن

قال المؤلف رحمه الله تعالى: قال الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رضي الله عنه في قول النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم: « إنَّ الله ينزل إلى سّماء الدّنيا» و« إنَّ الله يرى في القيامة»، وما أشبه هذه الأحاديث: «نؤمنُ بها، ونصدّقُ بها، بلا كيف ولا معنى، ولا نَردُّ شيئاً منها، ونعلمُ أنّ ما جاء به الرّسولُ حقٌّ، ولا نردُّ على رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم، ولا نصفُ اللهَ بأكثر مما وصف به نفسه، بلا حَدٍّ ولا غَايةٍ:

{ ليس كمثله شيء وهو السّميع البصير} [الشّورى/11]

ونقول كما قال، ونصفه بما وصف به نفسه لا نتعدى ذلك.

ولا يَبلغُهُ وصف الواصفين.

نؤمن بالقرآن كلِّهِ مُحكمهِ ومُتشابِهِ، ولا نُزِيلُ عنه صفةً من صفاتِهِ لِشنَاعةٍ شُنِّعت، ولا نتعدَّى القرآن والحديث، ولا نعلم كيف كُنَهَ ذلك إلا بتصديق الرّسول صلّى الله عليه وسلَّم وتَثبيتِ القرآن»[1]

قال الإمام أبو عبدالله محمد بن إدريس الشّافعيّ رضي الله عنه: «آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنت برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله»[2].

---

(1) أخرجه اللالكائيّ في شرح أصول اعتقاد أهل السّنّة والجماعة برقم (777)، وذكره ابن القيم رحمه الله في اجتماع الجيوش الاسلاميّة (2/211)، وانظر مختصر الصّواعق المرسلة (1/469).

(1) ذكره شيخ الاسلام ابن تيمية في الرّسالة المدنيّة صفحة (3) وضمن مجموع الفتاوى(6/354) وشرح العقيدة الأصفهانيّة (1/106).

وعلى هذا درج السّلف وأئمة الخلف رضي الله عنهم، كلّهم متفقون على الإقرار والإمرار، والإثبات لما ورد في كتاب الله وسنّة رسوله من غير تعرض لتأويله.

الشرح

(بلا كيف):أي لا نخوض في كيفيَّتها ولا نبحث عنها، لأنّنا لا علم لنا بها، وليس معنى ذلك أنَّ الصّفة لا كيفيَّة لها، بل لها كيفية ولكنّنا لا نعلمها؛ لأنها من الغيب الذي لم يخبرنا الله به، ولا سبيل إلى العلم به إلا بالوحي.

قال: **(ولا معنى)** أي ولا معنى يخالف معناها الحقيقي، كما تفعله المعطِّلة الّذين يحرِّفون الصّفة عن حقيقتها، فيفسِّرونها بمعنى آخر، فإنَّ المعنى الّذي نزل به القرآن معروف مفهوم بمقتضى اللّغة، كما قال الإمام مالك رحمه الله تعالى: «الاستواء معلوم - ليس به خفاء ولا جهالة-، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسّؤال عنه بدعة»[1] فالمعنى المراد نفيه هنا هو المعنى الباطل الّذي تفسره به المعطِّلة، لا المعنى الحقيقي للصِّفة؛ لأنّ هذه الكلّمة وما شابهها من بعض كلام السّلف تعلق به المفوِّضة، وقالوا: نفوِّض الكيف والمعنى، وهذا هو مذهب السّلف، فها هو الإمام أحمد يقول: لا كيف ولا معنى.

وجاء عن أكثر من واحد مثل قول أحمد.

فهم ينفون المعنى عن الصّفة، قالوا: فنحن نفوِّض الكيف والمعنى.

---

1 سيأتي تخريجه عند ذكر المؤلف له.

ولا شكَّ أنَّ هذا الكلام باطل، بدليل أنَّ الإمام أحمد نفسه ورد عنه تفسير بعض الصّفات بحقيقتها، وكذلك جاء عن غيره من السّلف، كما جاء عن أبي العالية الرّياحيّ أنّه قال في الاستواء: «استوى أي ارتفع»، وقال مجاهد: «استوى أي علا»[1] ففسَّروا الاستواء بمعناه الحقيقي.

فالسّلف ليس من مذهبهم تفويض المعنى، فالمعنى عندهم معلوم واضح لا خفاء فيه، لكنّهم يفوِّضون الكيف؛ لأنّ الكيفيّة لم يذكرها لنا ربنا تبارك وتعالى، فلا سبيل إلى معرفتها، لذلك نفوِّضها إلى الله سبحانه وتعالى، أمَّا المعنى فلا يُفوَّض؛ فقد ذكر الله سبحانه وتعالى الصّفات بكلامٍ عربيٍّ فصيحٍ واضحٍ لا خفاء فيه، فنفهمها بمقتضاها اللّغوي.

(ولا نردّ شيئاً منها)، بل نؤمن بها جميعاً.

(ونعلم أنّ ما جاء به الرّسول حق، ولا نردّ على رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم)، لا نردّ على رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم ما جاء به، فما جاء به النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم صدق وحق، فنؤمن به ونصدّق به.

(ولا نصف الله بأكثر ممّا وصف به نفسه) أي نقف في صفات الله عند كتاب الله وسنّة رسوله صلّى الله عليه وسلَّم، لا نزيد ولا ننقص، نقف عند الكتاب والسّنّة، فالكلام في ذات الله وفي صفاته أمر عظيم، الواجب فيه الوقوف على ما جاء في الكتاب والسّنّة، فكلّه توقيفيٌّ لا يجوز للشخص أن يُعملَ عقله وذهنه في أمرٍ كهذا.

(بلا حدٍ ولا غايةٍ) أي لا نكيّف صفات الله تبارك وتعالى فنذكر حدودها التي تنتهي إليها، وغاياتها كأن نقول: تنتهي الصفة إلى كذا أو طولها كذا وعرضها كذا وما شابه؛ لأنه لا يعلم ذلك إلا الله تبارك وتعالى.

1 سبق تخريجه

قال الله تبارك وتعالى: **({ليس كمثله شيء وهو السّميع البصير})** [الشّورى/11]، فيها نفي وإثبات، هذا هو التّوحيد في الصّفات: تنفي المماثلة، فلا شيء يماثل الله سبحانه وتعالى لا في ذاته ولا في صفاته.

{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} أثبت لنفسه سمعاً وبصراً، فنثبت له السّمع والبصر، وننفي أن يكون لأحد سمع وبصر يماثل سمع وبصر الخالق تبارك وتعالى.

(ونقول كما قال،ونصفه بما وصف نفسه، لا نتعدى ذلك) نقول كما قال الله تبارك وتعالى في كتابه، وكما جاء عن النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم في سنّته، ونصفه بما وصف به نفسه، فلا نعطِّل الله تبارك وتعالى عن صفاته.

قال: (ولا يبلغه وصف الواصفين) أي لا أحد يستطيع أن يصف الله تبارك وتعالى، الله هو الّذي يصف نفسه، فلا نصفه إلا بما وصف به نفسه في كتابه أو في سنّة نبيّه صلّى الله عليه وسلَّم.

(نؤمن بالقرآن كلّه محكمه ومتشابهه) لا نردّ على الله تبارك وتعالى شيئاً، نؤمن بالحكم ونثبت معناه، ونرد المتشابه إليه ونفهمه بناء عليه، هذه طريقة الراسخين في العلم، الذين يبتغون الحق.

قال: (ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شنّعت) أي نثبت الصّفات،ولو أقام أهل البدع الدّنيا ولم يقعدوها علينا من أجل إثباتنا لصفات الله، الّتي ذكرها في كتابه أو في سنّة نبيّه صلّى الله عليه وسلَّم، ووصفنا الله سبحانه وتعالى بها، فلا نبالي بتشنيع أهل البدع والضّلال علينا، ولو وصفونا بالمشّبهة أو المجّسمة أوالحشويّة أوغير ذلك من المعاني والألفاظ، المهم عندنا أنّنا نؤمن بما أمرنا الله تبارك وتعالى بالإيمان به.

قال: (ولا نتعدى القرآن والحديث) هذه هي عقيدتنا، لا نتجاوز كتاب الله وسنّة رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم في النَّفي والإثبات، وفي كل أمور الغيب، لا نتجاوز الكتاب والسنة وما كان عليه سلف هذه الأمة .

(ولا نعلم كيف كنه ذلك إلا بتصديق الرّسول صلّى الله عليه وسلَّم وتثبيت القرآن) أي لا نعلم حقيقة الصّفات أي كيفيَّتها، أمّا معناها فهو معلوم لنا بما علمنا الله تبارك وتعالى.

فنحن نصدّق النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم وإن لم نعلم الكيفية، ونؤمن بما جاء في كتاب الله تبارك وتعالى. هذا هو واجب المسلم ناحية صفات الله تبارك وتعالى.

(قال الإمام أبو عبدالله محمد بن إدريس الشّافعيّ) نقل أولاً كلام الإمام أحمد وهو إمام أهل السّنة في زمنه، في زمن الإمام أحمد قامت البدع على قدم وساق وصار لأهلها شوكة ومنعة، فصاروا يصرخون ببدعهم وضلالاتهم وينشرونها ويدعون النَّاس إليها، فقام لهم الإمام أحمد رحمه الله تعالى ووقف وقفة شهد له به أئمة الإسلام، فصدّهم، وثبت في وجوههم، وجاهدهم جهاداً كبيراً، لذلك سمّي رحمه الله تعالى بإمام أهل السّنة في زمنه، وهو أحد أئمة المذاهب الفقهية الأربعة التي لها أتباع كثر.

وأمّا الإمام الشّافعيّ فهو أبو عبد الله محمد بن إدريس الشّافعيّ إمام أيضاً من أئمّة السّنّة والحديث في زمنه رحمه الله تعالى وهو صاحب المذهب الشّافعيّ المعروف، عده بعض العلماء مجدد القرن الثاني، وحق له ذلك.

قال رحمه الله تعالى: (آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله)، آمنت بالله وبما جاء عن الله أي بالقرآن، على مراد الله، أي أؤمن به وأصدق به على ما أراد الله سبحانه وتعالى من معنى.

(وآمنت برسول الله وبما جاء عن رسول الله) أي في سنّته صلّى الله عليه وسلَّم.

(على مراد رسول الله) أي على المعنى الّذي أراده النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم، هذا كلّه تأصيل عام لمنهج أهل السّنّة سواء كان في الأسماء والصّفات أو حتّى في أمور الشّريعة والدّين كلّها، هذا كلام الشّافعيّ رحمه الله تعالى، فلا يحرف الصفات عن معانيها، ولا يغير أحكام الله عن مراد الله بها .

قال المؤلف رحمهُ الله تعالى: (وعلى هذا درج السّلف وأئمّة الخلف) أي على هذا الّذي ذكره من كلام الإمام أحمد وكلام الإمام الشّافعيّ، كان السّلف كلّهم يمشون عليه، ومن اتبعهم من أهل الحق، والسّلف هم الصّحابة رضي الله تعالى عنهم، ومن اتبعهم بإحسان من أصحاب القرون المفضلة، وهي القرون الثّلاثة الأولى.

(كلّهم متفقون على الإقرار)أي الإقرار بالصّفات والإيمان بمعناها.

(والإمرار) أي إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تحريف.

(والإثبات) أي إثبات معناها.

(لما ورد من الصّفات في كتاب الله وسنّة رسوله من غير تعرّض لتأويله) أي من غير تعرض لتحريفه بتفسيره تفسيراً فاسداً كتفسير المعطِّلة، وهو التحريف الذي يسمونه تأويلاً، صرف اللفظ عن ظاهره، ولكنه بغير دليل صحيح.

المتن

قال المؤلف رحمه الله تعالى: وقد أمرنا بالاقتفاء لآثارهم، والاهتداء بمنارهم، وحذّرنا المحدثات، وأخبرنا أنّها من الضّلالات، فقال النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم: «عليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الرّاشدين المهديين من بعدي، عضُّوا عليها بالنَّواجذ، وإياكم ومحدثات الأُمور، فإن َّكلّ محدثة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة»[1].

وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: « اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفِيتُم»[2].

وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كلاماً معناه: « قِفْ حَيْثُ وَقَفَ القَومُ، فَإِنَّهُم عَنْ عِلْمٍ وَقَفوا، وبِبَصرٍ نافذٍ كَفُّوا، وهُم عَلَى كَشْفِها كانوا أقْوَى، وبالفضْلِ لَو كان فيها أَحْرى، فلئِن قُلتُم: حَدَثَ بَعدَهُم؛ فما أَحْدَثَهُ إلا مَنْ خالفَ هَدْيَهُم، ورَغِبَ عَنْ سُنَّتِهِم، وَلَقَدْ وَصَفُوا منه ما يَشفِي، وتَكلَّمُوا مِنهُ بما يَكْفِي، فما فَوقَهُم مُحَسِّرٌ وما دُونهُم مُقصِّرٌ، لقد قَصَّرَ عَنْهُم قَومٌ فَجفَوا وتجَاوزَهُم آخرونَ فَغلَوْا، وَإنهم فيما بين ذلك لَعَلى هُدى مُستقَيمٍ».

وقال الإمام أبو عمرو الأوزاعي رضي الله عنه: «عليك بآثارِ من سلفَ وإن رفضكَ الناسُ، وإياك وآراءَ الرجالِ، وإن زَخرَفُوهُ لك بالقولِ».

وقال محمد بن عبد الرحمن الأدرَمِيّ لرجل تكلم ببدعة ودعا الناس إليها: «هل علمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي، أو لم يعلموها؟ قال: لم يعلموها، قال: فشيء لم يعلمه هؤلاء أعلِمتَه أنت؟! قال الرجل: فإني أقول: قد علموها، قال: أفَوسِعهم أن لا يتكلموا به، ولا يدعوا الناس إليه، أم لم يسعهم؟ قال: بلى وسعهم، قال فشيء وسع رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفاءه لا يسعك أنت؟! فانقطع الرجل. فقال الخليفة ـ وكان حاضراً ـ: لا وسَّعَ اللهُ على من لم يسعْهُ ما وسِعَهم».

وهكذا من لم يسعه ما وسع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين لهم بإحسان والأئمة من بعدهم والراسخين في العلم من تلاوة آيات الصفات وقراءة أخبارها وإمرارها كما جاءت، فلا وسّع الله عليه.

---

(1) أاخرجه أحمد(17144)، والتّرمذي(2676) من حديث العرباض بن سارية رضيّ الله عنه.

(2) رواه الدّارميّ(211)، واللالكائيّ في شرح أصول اعتقاد أهل السّنّة(104)، والبيهقيّ في شعب الايمان (2024).

الشرح

قال المؤلف رحمه الله تعالى: **(وقد أمرنا بالاقتفاء لآثارهم)** أي آثار السّلف الّذين قرَّر المؤلف رحمه الله تعالى القواعد والأُصول الّتي ينتهجونها في أسماء الله وصفاته.
قال: « وقد أمرنا بالإقتفاء لآثارهم» فالواجب علينا أن نسير كما ساروا.
والأثر: ما بقي من رسم الشّيء، كآثار سير الأقدام مثلاً.
والاقتفاء هو:الاتباع، أي اتباعهم على ما كانوا عليه من أمر الدّين، وقد أمرنا بذلك.
(والاهتداء بمنارهم) أي أن نعرف الطّريق ونهتدي له بالمنارات الّتي وضعوها لنا، وأصل المنارة مكان مرتفع توضع عليه المصابيح أو أعلام الطّرق، مثل المنارات الّتي تبنى عند شواطئ البحار، مبنى عالٍ مرتفع، عليه مصابيح تضيء وتدور، علامة كي ترشد السّفن إلى الشّواطئ، هذا معنى المنارة.
فالسّلف كأنّهم في منهجهم الّذي كانوا عليه وفي طريقهم الّذي بيّنوه لنا، وضعوا لنا منارات كهذه المنارات، فالواجب علينا أن نستضيء بهذه المنارات ونسير على نفس الطّريق الّتي كانوا عليها.
هذه المسألة من أهم أصول أهل السنة، التي يخالفون فيها أهل البدع : مسألة الاتباع لطريق السلف، أهل البدع يتبعون الرأي، وأما أهل السنة فيتبعون النصوص والآثار في كل أمور الدين .
قال: **(وحذَّرنا المحدثات)** المحدثة: أي الأمر الجديد في الدّين، ويعرف الأمر المحدث الجديد بعدم وروده في الكتاب والسّنّة، ولم يكن على عهد الصحابة ومن اتبعهم بإحسان، بكونه لا أصل له في الكتاب ولا في السّنّة، ولا يعرفه الصحابة، فهو دين جديد، ولكن العامّة اليوم عندما تطبِّق عندهم سنّة يقولون لك ما هذا الدّين الجديد الّذي أتيتنا به!ضابطهم في الجديد أنّهم لم يعتادوا عليه، أمّا الضّابط الشّرعيّ في الجديد، فهو ما لا أصل له في الكتاب والسّنّة ولم يكن على عهد السلف الصالح، هذا هو الّذي يسمّى ديناً جديداً.
قال: (وأخبرنا أنّها من الضّلالات) أي المحدثات، وهي العبادات الّتي تأتي جديدة ولا أصل لها في الكتاب والسّنّة، ولم يكن عليها السّلف الصّالح رضي الله عنهم، هذه ضلالات، والضّلالة ضدَّ الرّشاد وضدَّ الهداية، فهي انحراف عن الحق.

قال: (فقال النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم: عليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الرّاشدين المهديين من بعدي عضُّوا عليهم بالنَّواجذ وإياكم ومحدثات الأُمور فإن كلّ محدثة بدعة وكلّ بدعة ضلالة)

ذكر المؤلف رحمه الله تعالى الدّليل على ما قدم لك، ونحن قبل الحديث نأتي بآية من كتاب الله، قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم {**ومن يشاقق الرّسول من بعد ما تبيّن له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنَّم وساءت مصيراً**}[النِّساء: 115]، **{ ومن يشاقق الرّسول من بعد ما تبيّن له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين}**، المؤمنون الّذين كانوا عند نزول هذه الآية هم أصحاب رسول اللهصلّىالله عليه وسلَّم، فالواجب أن نسيرعلى طريقتهم، وكذلك قال الله تبارك وتعالى{ **والسّابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والّذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه**}[التّوبة: 100] فكان الرّضا من نصيب الصّحابة رضي الله عنهم ومن اتبعهم بإحسان، إذن هذه كلّها آيات تدلُّ على أنّ النَّاجي هو من يتّبع منهج السّلف رضي الله عنهم.

وجاء في الحديث الّذي ذكره المؤلف: «عليكم بسنّتي» أي الزموا سنّتي، والسّنّه هي الطّريقة، والمراد بها هنا: طريقة النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم، ودينه الّذي جاء به سواء كان قولاً، أو فعلاً، أو تقريراً.

«**عليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الرّاشدين المهديين من بعدي عضُّوا عليها بالنَّواجذ**» والخلفاء الرّاشدون المهديون من بعده عليه الصّلاه والسّلام هم: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، ودليل التّخصيص بالخلفاء الأربعة هو حديث النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم الّذي رواه سفينة يقول: «الخلافة في أمّتي ثلاثون سنة»[1]، وإذا

[1] خرجه أحمد (21928)، والتّرمذي(2226) والخلال في السّنّة (647).

عددت السّنين الثّلاثين وجدتها تنتهي بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، إذن هؤلاء هم الخلفاء الرّاشدون الّذين أوصى النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم باتباع سنّتهم أي باتباع طريقتهم.

(عضُّوا عليها بالنَّواجذ) أي على سنَّته صلّى الله عليه وسلَّم وسنّة الخلفاء الرّاشدين من بعده، والنَّواجذ جمع ناجذ وهو الضّرس، أي احرصوا عليها وتمسَّكوا بها، مثلما نقول نحن اليوم: امسك بها بيديك وأسنانك.

(وإياكم ومحدثات الأُمور) أي احذروا من محدثات الأُمور.

(فإنَّكلّ محدثة بدعة وكلّ بدعة ضلالة) وكلّ ضلالة في النَّار؛ كما جاء في رواية، فكلّ محدثة بدعة، وقلنا بأنَّ المحدثة هي الأمر الجديد في الدّين، الّذيلا أصل له في الكتاب والسّنّة.

البدعة لغة: ما أحدث على غير مثال سابق.

وفي الشّرع: ما أحدث ممَّا لا أصل له في الشّريعة يدلُّ عليه؛ لأنّ دين الله هو دين الإسلام، الّذي هو كتاب وسنّة بفهم سلف الأمة، فإذا جاء دين لا أصل له لا في الكتاب ولا في السّنّة ولا كان عليه الصحابة؛ فهو محدث و هو بدعة، و البدعة ضلالة والضّلالة في النَّار، أي صاحبها.

فالبدعة كبيرة من الكبائر؛لأنّ من تعريف الكبائر أنّها ما توّعد عليه بعقاب أو عذاب، فالبدعة كبيرة من الكبائر وعظيمة من عظائم الذنوب، وخطر البدعة يكمن في أنَّ البدع إذا سكت عنها وتوسّع النَّاس في الإحداث والابتداع في دين الله، أدى ذلك إلى انطماس شريعة الله واستبدالها بآراء وأهواء البشر؛ كما حصل من اليهود والنّصارى، ومن الرّافضة والصّوفية القبوريّة، فتحوا باب الابتداع على

مصراعيه فأخذوا يستحسنون بأرائهم وعقولهم حتّى خرجوا من دين الله تماماً، هذا هو طريق البدع.

فرحم الله السّلف نظرتهم كانت ثاقبة، فكان بعضهم يقول: «البدعة بريد الكفر»، البريد أصله الدابة التي تحمل الرسائل، فهي التي توصل الرسالة، فالبدعة توصل إلى الكفر، فالحذر الحذر من البدعة والابتداع، ومن هنا نجد السّلف رضي الله عنهم يشدّدون في مسائل البدع والابتداع، ويحرصون على التّحذير ممّن يدعو إلى بدعة أو ضلالة؛ لأنّ السّكوت عن مثل هذا يؤدي إلى انطماس الدّين، وذهاب الحق، وهذا لا يجوز السّكوت عليه ألبتّة.

فلا تأخذك الحمية لشخص من الأشخاص إن أحببته أو رأيت فيه شيئاً من الخشوع إن كانت فيه بدعة، فتدخل في الدّفاع عنه والذّب عنه لأنّك أحسنت الظّن به، هذا خطأ عظيم، فالبدعة أمرها خطير، وغيرتك على دين الله أولى من غيرتك على فلان أوعلان، محبتك يجب أن تكون لشرع الله مقدمة، تقدم كتاب الله وسنّة رسول الله صلّى الله عليه و سلَّم على كلّ شيءٍ وعلى كلّ أحد، فالمبتدع يُضلُّ النَّاس عن سواء السّبيل، ويريد أن يفسد شريعة الله، يجب التّحذير منه، من أجل الحفاظ على شريعة الله صافية نقيّة، ونصيحة للمسلمين، فإذا لم تبيّن أنت ولم أبيّن أنا فمن أين يعلم النَّاس الحق من الباطل؟!

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم)، ما أجمل هذا الكلام، لا تحاول أن تجعل نفسك رأساً، فتأتينا بالآراء والخيالات والغرائب الجديدة كي تجد لك من يتبعك، أو كي يقال فلان قال، ولكن كن متّبعاً؛ تبقى على الحق.

(اتّبعوا) أي اتّبعوا الكتاب والسّنّة ومنهج السّلف رضيَّ الله عنهم، فالنَّبي صلّى الله عليه وسلَّم وأصحابه من بعده رضيَّ الله عنهم بيّنوا هذا الدّين والشّرع بياناً واضحاً لا خفاء فيه، قال: **(ولا تبتدعوا)** فلسنا بحاجة إلى بدعك وخرافاتك، فلا تأتوا بدين جديد **(فقد كفيتم)** كفيتم البيان، كفاكم سلفكم رضيَّ الله عنهم أمر بيان هذا الدّين وتوضيح معناه.

فواجبكم فقط الاتباع، تعلموا ما كانوا عليه واتبعوهم ، هذا ما أمر به الله تبارك وتعالى وأمر به رسوله صلى الله عليه وسلم وبينه أصحابه ومن اتبعهم، هذه بعض آثار السلف ذكرها المؤلف هنا .

وأما الأدلة التي توجب الاتباع فقال تعالى {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (100)} وقال: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (115)} وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»[1]

وقال «ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلهم في النار إلا واحدة»، قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: «الجماعة»[2]، وفي رواية: «ما أنا عليه وأصحابي»[3]

(1) أخرجه أحمد (17144)، وأبو داود (4607)، والترمذي (2676)، وابن ماجه (42)، من حديث العرباض بن سارية τ
(2) أخرجه أحمد (16937)، وأبو داود (4597)، من حديث معاوية τ
(3) أخرجها الترمذي (2641) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كلاماً معناه: (اقِف حيث القوم، فإنّهم عن علمٍ وقفوا، وببصرٍ نافذ كفوا، وهم على كشفها كانوا أقوى، وبالفضل لو كان فيها أحرى، فلئن قلتم حدث بعدهم، فما أحدثه إلا من خالف هديهم، ورغب عن سنّتهم، ولقد وصفوا منه ما يشفي، وتكلّموا منه بما يكفي، فما فوقهم محسّر،وما دونهم مقصّر، لقد قصرَّ عنهم قوم فجفوا، وتجاوزهم آخرون فغلوا، وإنّهم فيما بين ذلك لعلى هدىً مستقيم)(1).

وقال الإمام أبو عمرو الأوزاعيّ رضي الله عنه: (عليك بآثار من سلف وإن رفضك النَّاس، وإياك وآراء الرّجال وإن زخرفوه لك بالقول) (2)

وقال محمد بن عبد الرّحمن الأدرميّ لرجل تكلّم ببدعة ودعا النَّاس إليها: هل علمها رسول اللهصلّىالله عليه وسلَّم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي، أم لم يعلموها؟ قال: لم يعلموها، قال: فشيء لم يعلمه هؤلاء أعلمته أنت؟! قال الرّجل: فإنّي أقول قد علموها، قال: أفوسعهم ألّا يتكلّموا به ولا يدعوا النَّاس إليه أم لم يسعهم؟ قال: بلى وسعهم، قال: فشيء وسع رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم وخلفاءه لا يسعك أنت؟! فانقطع الرّجل، فقال الخليفة- وكان حاضراً -: لا وسّع الله على من لم يسعه ما وسعهم) (3)

وهكذا من لم يسعه ما وسع رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم وأصحابه والتّابعين لهم بإحسان والأئمة من بعدهم والرّاسخين في العلم من تلاوة آيات الصّفات وقراءة أخبارها وإمرارها كما جاءت فلا وسّع الله عليه.

(1) روى الأثر الامام أحمد في الزّهد(1709)، وابن بطة في الابانة الكبرى(1/321)

(2) أخرجه الخطيب في شرف أصحاب الحديث صفحة (7) ، والأجريّ في الشّريعة برقم (127)

(1) أخرج القصة الآجريّ في الشّريعة رقم 193، والخطيب في تاريخ بغداد(271/11) وقال: الشّيخ هو أبو عبد الرّحمن عبدالله بن محمد بن اسحق الأذرمي، وقد ناظر ابن أبي دؤاد في مسألة خلق القرآن بحضرة الواثق.

(وقال عمر بن عبد العزيز رضيَّالله عنه) عمر بن عبد العزيز الأمويّ، الأمير، الزّاهد، الورع، التّقيّ، كان صاحب علم، وكان أميراً عادلاً، قال رحمه الله تعالى: **(كلاماً معناه: قف حيث وقف القوم)** أي السّلف الصّالح رضيَّ الله عنهم من الصحابة ومن اتبعهم بإحسان، ما اتبعوه و بيّنوه ووضّحوه من السّنة فخذ به واعمل به، وما سكتوا عنه فاسكت عنه وانتهِ، وما انتهوا عن الخوض فيه فانته أنت عن الخوض فيه، فقف عنده ولا تتجاوزه.

قال رحمه الله تعالى: **(فإنّهم عن علم وقفوا)** عندما وقفوا عند مسألة معينة ولم يتكلموا كانوا يعرفون لماذا وقفوا، وأن الوقوف هو الواجب **(وببصرٍ نافذٍ كفواً)** أي ببصر وبصيرة قويّة توقفوا **(وهم على كشفها كانوا أقوى)** علمهم أقوى من علم من جاء بعدهم، وأكثر وأغزر، فلو كان هناك ما يحتاج إلى الكلام بعلم فهم كانوا أقدر على استخراجه وبيانه **(وبالفضل لو كان فيها أحرى)** و لو كان في كشفه فضل فهم من أحرص النَّاس على الفضل وعلى الخير **(فلئن قلتم حدث بعدهم)** إن قلت هذه قضية حصلت ولم تكن في زمنهم **(فما أحدثه إلا من خالف هديهم ورغب عن سنّتهم)** أي زهد في طريقتهم وخالفها فيها **(ولقد وصفوا منه ما يشفي، وتكلّموا منه بما يكفي)**، وصفوا من أمر هذا الدّين ما يشفي المحتاج، و تكلّموا منه بما يكفي، فلسنا بحاجة إلى زيادة على ذلك **(فما فوقهم محسِّر)** أي متعب نفسه من غير فائدة **(وما دونهم مقصِّر)** في طلب الحق **(لقد قصرَّ عنهم قوم فجفوا)** من الجفاء وهو التّباعد **(وتجاوزهم آخرون فغلوا)** من الغلوِّ وهو مجاوزة الحد، وهو منهيٌّ عنه في الشّرع **«وإنّهم فيما بين ذلك لعلى هدى مستقيم)** أي هم بين الغلوِّ والتّقصير، بين الإفراط و التّفريط، هذا منهج السّلف رضيَّ الله عنهم و هذه هي طريقتهم.

يقول موسى بن أبي عائشة رحمه الله تعالى وهو أحد أئمة السّلف: « ما أمر الله سبحانه بأمرٍإلا وكان للشيطان فيه نزغتان: نزغة إلى مجاوزة وغلو، ونزغة إلى تفريطٍ وتقصير»[1] فأهل السّنّة كانوا وسطاً دائماً، لا إفراط ولا تفريط، ومن أعظم ما يفسد الدين هاتان الطريقتان الغلو والتقصير وترك التوسط والاعتدال .

خلاصة هذا الكلام وجوب اتباع السلف، وترك الابتداع في الدين، والاجتهاد في مسائل قررها السلف ووضحوها، فتتكلم فيما تكلموا فيه بمثل ما تكلموا، وتسكت عما سكتوا عنه .

(وقال الإمام أبو عمرو الأوزاعي) الإمام العالم الكبير، شيخ أهل الشّام في زمنه، كان إماماً يقتدى به، له مذهب سائد في بلاد الشّام في زمنه وبعده بقليل؛ لأنّه كان من أهل الشّام فكان مذهبه هو السّائد في بلاد الشّام قبل أن ينتشرفيها مذهب الإمام الشّافعيّ رحمه الله تعالى، فهو إمام من أئمة أتباع التّابعين، إمام في زمنه في بلاد الشّام كما كان مالك في المدينة، وسفيان بن عيينة في مكة، واللّيث بن سعد في مصر، و سفيان الثّوريّ في الكوفة، وعبدالله بن المبارك في خراسان، كان هؤلآء أئمة زمانهم.

(قال الإمام أبو عمرو الأوزاعي رحمه الله تعالى: عليك بآثارٍ من سلف) عليك بطريقتهم الزمها ولا تتركها **(وإن رفضك النَّاس)** وإن تبرأ منك النَّاس وإن تركوك، وإن حذّروا منك، وإن رموك بما رموك به، كلّ هذا لا تبالي به، فإن كنت على الجادة فسيعزُّك الله سبحانه و تعالى، وينصرك ويرفعك، قال: **(وإياك وآراء الرّجال)** كما كان السّلف رضيَّ الله عنهم يوصون بالأخذ بكتاب الله وسنّة رسوله صلّى الله عليه وسلَّم واتباع منهج السّلف، كانوا يحذِّرون من الآراء، فالرأي العقلي من أعظم ما يفسد الاتباع ويضاده، خالف في ذلك أهل الرّأي في الفقه وأهل

[1] ذكره ابن القيم في إغاثة اللهفات (116/1)، وفي كتابه الصّلاة وأحكام تاركها (159/1).

الكلام في الاعتقاد، فكلّهم اعتمدوا على رأيهم في الدّين، وبقي على الجادّة أهل الحديث، قال: (**وإن زخرفوه لك بالقول)** وإن زينّوه لك باللّسان الجميل فلا تبالي به ولا تنظر إليه بما أنّه رأيٌّ خارجٌ من الرّجال فلا تنظر إليه، فالعبرة بقول الله، وقول رسول الله صلّى الله عليه و سلَّم، وقول أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم والقرون الثّلاثة الأولى كلها الّتي كانت على الجادّة، و كان الحق فيها ظاهراً قويّاً منتشراً، الّتي قال فيها النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم: « خير النَّاس قرني ثُمَّ الّذين يلونهم، ثُمَّ الّذين يلونهم» [1]

ثُمَّ ذمّ القرون الّتي بعد ذلك، وإذا نظرت إلى منهج السّلف في هذه القرون الثّلاثة، تجده واضحاً نقياً صافياً لا غباش فيه ولا خفاء. انظر وصيتهم كلهم واحدة لا تختلف، خلاصتها الاتباع وترك الابتداع .

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (وقال محمد بن عبد الرّحمن الأدرميّ لرجل تكلّم ببدعة ودعا النَّاس إليها: هل علمها رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم وأبوبكر وعمر وعثمان وعلي أو لم يعلموها؟) انظر الآن يريد أن يجادله بإلالزام، ويقول: ما هذه البدع الّتي تدعو إليها ؟ تدعو إلى القول بخَلق القرآن، هل القول بخَلق القرآن علمه النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم وأبوبكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أم لم يعلموه؟ قال: لم يعلموه!

انظر كيف وصلت البدعة بهم إلى أي درجة، وصلت بهم إلى أن يدّعوا أنّهم علموا أشياء لم يعلمها النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم وهو المبلغ عن الله دينه.

قال: (**فشيءٌ لم يعلمه هؤلاء، أعلمته أنت؟)**، انتبَهَ الرّجل لعظم ما قال وفساده، فقال: «**فإنّي أقول قد علموها)** تراجع، قال: (**أفوسعهم أن لا يتكلّموا به ولا يدعوا**

---

1 سبق تخريجه.

النَّاس إليه أم لم يسعهم؟)، إن قال نعم، قلنا له: هات، أين كلامهم؟ ولكنّه قال: **(بل وسعهم)**، وسعهم أن يسكتوا عن كلّ هذا، قال: **(فشيء وسع رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم و خلفائه لا يسعك أنت؟)** فانقطع الرّجل، يعني ألزمه بالاتباع في السكوت، فكما سكتوا كان واجبك السكوت، فلو كان ما تكلمت به حقاً واجباً لسبقوك إليه، فهم أعلم وأحرص على الخير منك، فقال الخليفة - وكان حاضراً -: **(لا وسّع الله على من لم يسعه ما وسعهم).**

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (وهكذا من لم يسعه ما وسع رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم و أصحابه والتّابعين لهم بإحسانٍ والأئمة من بعدهم والرّاسخين في العلم من تلاوة آيات الصّفات، وقراءة أخبارها، وإمرارها كما جاءت، فلا وسّع الله عليه)، هذا تقعيد و تأصيل من المؤلف رحمه الله تعالى لعقيدة أهل السّنّة والجماعة في الأسماء والصّفات، اعتمد في تقرير ذلك على الكتاب والسّنّة و منهج السّلف رضيَّ الله عنهم، هذا هو الّذي نحن عليه، و بهذا انتهى من التّقعيد و التّأصيل و سيبدأ المؤلف رحمه الله تعالى بذكرالصّفات الّتي وردت في الكتاب و السّنّة.

المتن

قال المؤلف رحمه الله: فممَّا جاء من آيات الصّفات قول الله عزوجل: { ويبقى وجه ربك} [الرّحمن: 27]

وقوله سبحانه وتعالى: { بل يداه مبسوطتان} [المائدة: 64]

وقوله تعالى إخباراً عن عيسى عليه السّلام أنّه قال: { تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك} [المائدة: 116]

وقوله سبحانه:{ وجاء ربك} [الفجر: 22]

وقوله تعالى: { هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله} [البقرة: 210]

وقوله تعالى: { رضيَ الله عنهم ورضوا عنه} [المائدة: 119]

وقوله تعالى: { يحبُّهم ويحبُّونه} [المائدة: 54]

وقوله تعالى في الكفَّار: { وغضب الله عليهم} [الفتح: 6]

وقوله تعالى: { اتّبعوا ما أسخط الله} [محمد: 28]

وقوله تعالى: { كره الله انبعاثهم} [التّوبة: 46]

الشرح

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (**فممّا جاء من آيات الصّفات قول الله عزوجل { ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام })** [الرّحمن: 27]، في هذه الآية إثبات صفة الوجه لله تبارك وتعالى، فنثبته له؛لأنّه أثبت هذه الصّفة لنفسه في كتابه وفي سنّة رسوله صلّى الله عليه وسلَّم على حقيقتها، ولا نعطّلها كما يفعل أهل التّعطيل، كيف يعطّلونها؟ يفسِّرون الوجه بالذّات، ولا يثبتون لله وجهاً حقيقياً، قالوا: الوجه موجود في المخلوق، من صفاته، فإذا أثبتنا الوجه للخالق شبّهنا الخالق بالمخلوق، وهذا يلزم منه النَّقص، فنقول لهم: هذا لا يلزم، لا يلزم من إثبات وجه لله تبارك وتعالى أنّ وجهه يشبه وجه المخلوق، فوجه الله يليق بجلاله وعظمته، ووجه المخلوق يليق به وبنقصه، فلا يلزم من كون المخلوق له وجه والله سبحانه وتعالى له وجه؛ أن يكون الوجه كالوجه.

فنحن نثبت صفة الوجه لله تبارك وتعالى كما يليق بجلاله وعظمته؛ لقوله تبارك وتعالى:{ **ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام** }[الرّحمن: 27]، من غير تمثيل؛ لقول الله تبارك وتعالى:{**ليس كمثله شيء**}[الشّورى/11]، ومن غير تكييف؛ لقوله تبارك وتعالى:{**ولا يحيطون به علماً**}[طه/110]، وهكذا القول في جميع الصفات، هذا هو التّأصيل السّنّيّ السّلفيّ، وقد كان السّلف رضي الله عنهم يقرأون هذه الآيات ويمرِّونها كما جاءت، ولم يحرِّفها أحد منهم كما يفعل أهل الكلام، ولم يخرج بها عن معناها الحقيقي، فنحن نفعل كما فعلوا، ولو كان في هذا محذور، أو يلزم منه معنى باطلة لبيَّنه السّلف وما سكتوا عنه.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (وقوله سبحانه وتعالى :{ بل يداه مبسوطتان}) [المائدة/64]، في هذه الآية إثبات صفة اليدين لله تبارك وتعالى، وكذلك في قول

الله تبارك وتعالى {**ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي**}[ص/75]، خلق آدم بيديه سبحانه وتعالى، وأمّا بقية المخلوقات إلا ما استثني؛ فقال لها: كوني فكانت.

أهل التّعطيل يقولون: معنى اليد: النِّعمة أو القدرة، فقالوا في آدم: خلقه بقدرته، ففسَّروا اليد بمعنى القدرة، فردّ عليهم أهل السّنّة، فقالوا: ما الفرق إذن بين آدم وبقية الخلق؟!

الله سبحانه وتعالى شرَّف آدم وذكر هذا التّشريف لإبليس عندما أمره بالسّجود لآدم، قال له: ما منعك أن تسجد لمن شرَّفته ورفعت مقامه بخلقي له بيدي، فهذه منزلة رفيعة، ففرَّق الله سبحانه وتعالى ما بين خلق آدم وخلق غيره من الخلق، فعندما تقولون أنتم: خلقه بقدرته؛ لم تبق لآدم مكانة ولا شرف زائد عن بقية الخلق، إضافة إلى أنّ الله سبحانه وتعالى قال: { **ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي** } [ص/75] اليدان مثنّى، يدان اثنتان لله تبارك وتعالى، وقدرة الله واحدة لا تثنّى، فلا يصحُّ هنا أن يفسَّر المثنّى بالمفرد، فهذا التّأويل الّذي هم عليه تأويل باطل؛ لأنّه تأويل بغير دليل شرعي صحيح، وإنّما هو تأويل لشبه عقلية.

منعهم من إثبات حقيقة اليدين لله تبارك وتعالى زعمهم أن إثبات اليدين لله تبارك وتعالى يلزم منه التّشبيه، إذ إن البشر لهم أيد، فإذا أثبتنا اليد للخالق وأثبتنا للمخلوق اليد فقد شبهنا الله بخلقه، وهذا باطل ليس بصحيح، نقول لهم في إثبات اليد لله سبحانه وتعالى: نثبت يداً تليق بجلاله وعظمته، والمخلوق له يد تليق به وبنقصه.

قولوا في اليد كما قلتم في الذّات، انتبه لهذه النُّقطة، قولوا في اليد وبقية الصّفات كما تقولون في الذّات.

هل لله ذات أم لا؟ له ذات، يقرُّون هم بذلك، هل للمخلوق ذات أم لا؟ له ذات، هل ذات الله كذات المخلوق؟ لا، الله له ذات تليق به، والمخلوق له ذات تليق به.

فنقول لهم: قولوا في الصّفات كما تقولون في الذّات.

وكما تقولون في الوجود كذلك، هل الله موجود أم ليس موجوداً؟ موجود، العبد موجود أم ليس موجوداً؟ موجود، هل وجود الله كوجود العبد؟ لا، إذن قولوا في بقية الصّفات كذلك، ما الذي جعلكم تثبتون هذا وتقولون ليس فيه تشبيه، وتنفون ذاك وتقولون فيه تشبيه؟! ليس لكم حجة على ذلك، وكذلك القول في بعض الصّفات كالقول في البعض الآخر، الّذين يثبتون لله صفة السّمع والبصر والإرادة والقدرة والحياة، وينفون بقيّة الصّفات نلزمهم بهذا، نقول لهم: لماذا أثبتم هذه ونفيتم تلك؟ إذا كان إثبات هذه يلزم منه التّشبيه فإثبات تلك كذلك، وإذا إثبات هذه لا يلزمه منه التشبيه فكذلك تلك إذ لا فرق صحيح، وهذا من تناقضكم، لكن الحق أنَّ هذا إثباته لا يلزم منه التّشبيه ألبتّة، فصفات الخالق تبارك وتعالى تليق بجلاله وعظمته وكماله، وصفات المخلوق تليق به وبنقصه.

ثُمَّ قال المؤلف رحمه الله تعالى: (وقوله تعالى إخباراً عن عيسى عليه السّلامأنّه قال { تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك})[المائدة: 116]، هذه الآية فيها إثبات صفة النَّفس لله سبحانه وتعالى، وهي كقوله تبارك وتعالى :{ **كتب ربكم على نفسه الرّحمة**}[الأنعام: 54] فأثبت النَّفس لنفسه، وعيسى أثبت لنفسه نفساً وأثبت لله نفساً، ولم ينكر الله تبارك وتعالى هذا القول، ولا يلزم من ذلك أنَّ نفس عيسى تشبه نفس الله سبحانه وتعالى، كما أنَّ ذات عيسى لا تشبه ذات ربِّ عيسى .

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (وقوله سبحانه{ وجاء ربك}[الفجر: 22]، وقوله تعالى{ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله})[البقرة: 210]، {وجاء ربك} فيها إثبات صفة المجيء، وهي صفة فعليّة، يفعلها الله متى شاء، فالصّفات الّتي تتعلق بالمشيئة تكون من الصّفات الفعلية، وكذلك في قوله تبارك وتعالى (**هل ينظرون**

إلا أن يأتيهم الله) هذا يوم يأتيهم الله سبحانه وتعالى لفصل القضاء يوم القيامة، هذه الصفة ـ صفة الإتيان- صفة فعليّة.

ولكن أهل التّعطيل يفسِّرون المجيء والإتيان بمجيء أمره، أو إتيان أمره، وهذا باطل، فالله سبحانه وتعالى يقول:**(وجاء ربك)** يعني جاء ربك تبارك وتعالى، فلو أراد الله سبحانه وتعالى الأُخرى لقال: وجاء أمر ربك، إذن فالواجب هو فهم هذه النُّصوص على ظاهرها – أي على حقيقتها – ومن ادّعى غير الحقيقة يلزمه الإتيان بالدّليل الصّحيح، لا الدّليل العقلي الموهوم والشّبه الخياليّة، هذه لا تُقبل على منهج أهل السّنّة والجماعة، منهج السّلف الصّالح رضي الله عنهم، على منهج أهل الحديث تردّ ولا تعتبر، فلو أراد الله سبحانه وتعالى خلاف الحقيقة لأورد لنا دليلاً يبّين لنا أنَّ الحقيقة غير مرادة، ولمّا لم يردّ ذلك، علمنا أن المراد هي الحقيقة.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (وقوله تعالى{ رضي الله عنهم ورضوا عنه})[المائدة: 119]، هذه آية من آيات الصّفات، نثبت بها صفة الرّضا لله تبارك وتعالى، وهي من الصّفات الفعليّة الّتي نثبتها كما أثبتها الله تبارك وتعالى في كتابه، لماذا نثبتها؟ لأنّ الله تبارك وتعالى أثبتها لنفسه، لماذا نحملها على حقيقتها؟ لأنّه لم يرد ما يدلُّ على عدم الحقيقة، ولماذا نقول: لا نعلم كيفيتها؟ لأنّ الله لم يخبرنا بذلك، ولقول الله تبارك وتعالى{**ولا يحيطون به علماً**}[طه: 110]، هذه هي الأُصول.

أهل التّعطيل يفسِّرونها بإرادة الثّواب أو بالثّواب نفسه، يصرفونها عن حقيقتها، الثّواب هو نتيجة الرّضى، يلزم من الرّضا الثّواب، فالرّضى شيءٌ ولازمه أو نتيجته شيءٌ آخر، فلا يفسّر هذا بهذا إلا عند وجود القرينة الّتي تدلُّ على أنَّ الحقيقة غير مرادة.

ثُمَّ قال المؤلف رحمه الله تعالى: (وقوله تعالى{ يحبّهم ويحبّونه}) [المائدة/54]، هذه الآية فيها صفة المحبة، فننثبت أنّ الله يحبّ، نثبت له صفة المحبة، وهي صفة فعليّة أيضاً، نثبتها لله كما يليق بجلاله وعظمته، لا نشبّهها بصفات المخلوق، محبة العبد محبة تليق به وبنقصه، ومحبة الله محبة تليق بعظمته وجلاله.

أمّا أهل التّعطيل فيفسِّرونها بإرادة الإحسان أو بالإحسان الّذي هو نتيجة المحبة، فالمحبة شيء ونتيجتها شيء آخر، فلا يصحّ صرف المحبة عن حقيقتها إلا بدليل، ولا يوجد، فالواجب حمل الآية على حقيقتها مع اعتقاد عدم التّمثيل لقول الله تبارك وتعالى{ **ليس كمثله شيء**}.

إذن فننفي أن تكون صفة الله مثل صفة عبده، فمن قال: يد كيد، نقول له: مبتدع، ضال منحرف، ومن قال: كيفيّة يد الله تبارك وتعالى كذا وكذا، قلنا له: أنت مبتدع ضال، كما قال الإمام مالك رحمه الله تعالى: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسّؤال عنه بدعة»، إذن، نقول: { **يحبّهم ويحبّونه**}، يحبّهم محبة تليق بجلاله وعظمته، فنثبت له صفة المحبة.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (وقوله تعالى في الكفَّار{وغضب الله عليهم}[الفتح: 6]) هذه أيضاً صفة فعليّة، صفة الغضب، فنثبت لله تبارك وتعالى صفة الغضب، كما وصف نفسه في كتابه، فهو أعلم بنفسه سبحانه وتعالى، فنثبتها لله من غير تعطيل ولا تحريف، ولا تمثيل، ولا تكييف.

أمّا أهل التّعطيل فيفسِّرونها بالانتقام أو إرادة الانتقام؛ لأنّ الأشاعرة كونهم يؤمنون بصفة الإرادة ويثبتونها لله، يحوِّلون هذه الصّفات كلّها إلى الإرادة، فالرّضا إرادة الإحسان، والغضب إرادة الانتقام، فيفِّسرونها بإرادة الانتقام أو بالانتقام نفسه.

هذا كلّه نتائج ولوازم وليست هي الحقيقة، حقيقة الغضب تختلف عن حقيقة الانتقام، فالواجب هو إثبات الصّفة على حقيقتها، إن قلت: لا، هي بمعنى الانتقام، قلنا لك: هات، أثبت الدّليل، هذا خلاف ظاهر النَّص، ونردُّ عليهم بقول الله تعالى{**فلمَّا آسفونا انتقمنا منهم**}[الزّخرف: 55] إذ إنَّ هذه الآية قوية في الرّدّ على أهل البدع، وعلى تفسيرهم الغضب بالانتقام، ماذا قال تبارك وتعالى؟ **{ فلمَّا آسفونا انتقمنا منهم}** أي فلمّا أغضبونا انتقمنا منهم، فكانت نتيجة الإغضاب الانتقام، ففرّق بين الغضب والانتقام.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (وقوله تعالى{اتّبعوا ما أسخط الله})[محمد: 28]، هذه الآية فيها إثبات صفة السُّخْط لله تبارك وتعالى أوالسَّخَط، يجوز هذا وهذا، والسُّخْط أو(السَّخَط) نقيض الرّضا، والغضب شدة السّخط، هذا بمقتضاه اللّغويّ، ونحن نثبت لله سبحانه وتعالى هذه الصّفة كما أثبتها لنفسه من غير تشبيه، ولا تكييف، ومن غير تحريف ولا تعطيل، حرَّفها أهل التّعطيل إلى الانتقام، لأنّها كصفة الغضب فحرَّفوها بنفس التّحريف، فنقول لهم كما قلنا في البداية، الأصل الحقيقة، إن كنت تريد أن تؤول فعليك بالدّليل.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (وقوله تعالى{ كره الله انبعاثهم})[التّوبة: 46]، هذه الآية فيها إثبات صفة الكره، صفة نثبتها لله تبارك وتعالى كما يليق بجلاله وعظمته، فسّرها أهل التّعطيل بالإبعاد، فقالوا: إنَّ معنى **{ كره الله انبعاثهم}:**أي أبعدهم، هذا تفسير باللّازم، أي بالنَّتيجة، وقلنا لهم: الأصل الحقيقة حتّى تثبت الدّليل على أنَّ الحقيقة غير مرادة، عندئذٍ نسلَّم لك وإلا فلا.

المتن

قال المؤلف رحمه الله تعالى: ومن السّنّة قول النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم: « ينزلُ ربُّنا– تبارك وتعالى– كلّ ليلةٍ إلى سّماءِ الدّنيا»[1].

وقوله: « يَعجَبُ ربُّك إلى الشّابِّ ليستْ له صَبوةٌ»[2].

وقوله صلّى الله عليه وسلَّم: «يَضحكُ اللهُ إلى رجلين قتلَ أحدُهما الآخَر، ثُمَّ يدخلان الجنَّة»[3].

فهذا وما أشبَههُ ممّا صَحَّ سندُهُ وعُدِّلَت رواتُهُ، نُؤمنُ بهِ ولا نَرُدُّهُ ولا نَجحَدُه ولا نتأوله بتأويل يخالف ظاهره، ولا نشبِّهُهُ بصفات المخلوقين، ولا بِسماتِ المُحْدَثِين، ونعلم أنّ الله سبحانه وتعالى لا شِبيهَ له ولا نَظِير: { ليس كمثله شيء وهو السّميع البصير}[الشّورى: 11].

وكل ما تُخِيِّلَ في الذهن أو خطر بالبال فإن الله تعالى بخلافه.

الشرح

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (ومن السّنّة قول النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم: « ينزل ربنا تبارك وتعالى كلّ ليلة إلى السّماء الدّنيا»)، هذا الحديث فيه إثبات صفة النُّزول لله تبارك وتعالى، فنقول: ينزل الله تبارك وتعالى إلى السّماء الدّنيا نزولاً حقيقياً يليق بجلاله وعظمته من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، هذه قاعدة أهل السّنّة والجماعة في التّعامل مع نصوص الصّفات.

---

1 أخرجه البخاري(1145)، ومسلم(758) من حديث أبي هريرة رضيّ الله عنه.

2 أخرجه أحمد برقم (17371)، وأبو يعلى في مسنده(1749)، والطّبرانيّ في الكبير(853) من حديث عقبة بن عامر الجهنيّ رضيّ الله عنه.

3 أخرجه البخاري (2826)، ومسلم(1890) من حديث أبي هريرة رضيّ الله عنه.

قال شريك وإسحاق بن راهويه وهما إمامان من أئمة أهل السّنّة، من أئمة السّلف رضي الله عنهم، عندما ذكر لهما حديث النُّزول، قالا: « إنَّ الّذين جاءوا بهذه الأحاديث هم الّذين جاءوا بالقرآن، وبأنَّ الصّلوات خمس، وبحج البيت، وبصوم رمضان، فما نعرف الله إلا بهذه الأحاديث»[1] هذا تقرير السّلف لهذه الصّفة، وعندما قال أحد الأمراء وهو يناظر إسحاق بن راهويه في هذا الأمر، قال له: ويخلو من العرش؟ أراد أن يورد عليه إشكالاً، فقال: أويخلو منه العرش؟ قال له إسحاق بن راهويه: ويجوز أن لا يخلو منه أم لا يجوز؟ قال: نعم، قال: إذن فمالك ولهذا؟

أي فدعك منه لا علاقة لك بمثل هذا.

قال النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم: « ينزل ربنا»، ماقال يخلو العرش منه ولا قال لا يخلو منه العرش [2]، فنسكت عمّا سكت عنه النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم.

أمَّا أهل التّعطيل الّذين يعطِّلون صفات الله تبارك وتعالى ولا يثبتونها له، من الجهميّة والمعتزلة والأشاعرة وغيرهم، يفسّرون مثل هذه الصّفة بنزول أمره، أو نزول رحمته أو نزول ملك من ملائكته، وهذا كلّه مردود عليهم بأنَّ هذا النُّزول الّذي فسَّرتموه به على غير حقيقة اللّفظ الّذي أخبربه النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم، فحقيقة اللّفظ: ينزل ربنا نفسه، وقولكم: ينزل أمره تحريف، لماذا؟ لأنّكم حملتم اللّفظ على غير حقيقته، مع عدم وجود دليل صحيح في ذلك، فهذا يسمّى تحريفاً، وإن كانوا هم يسمّونه تأويلاً، لكنّه تأويل باطل، فالتّأويل جائز وصحيح إذا وجد الدّليل على صحته، وإذا لم يوجد الدّليل على صحته فهو تحريف، وتأويل باطل مردودٌ على صاحبه.

---

1 السّنّة لعبد الله بن أحمد عن شريك برقم(508)، والبيهقيّ في الأسماء والصّفات بنحوه برقم(949)، وقد تقدم تخريج اثر إسحاق بن راهويه.

2 رواه اللالكائيّ في شرح أصول الاعتقاد برقم(774)، وأخرجه ابن بطة كما في شرح حديث النزول لشيخ الاسلام ابن تيمية صفحة(152) ومجموع الفتأوى(5/376) ، عن طريق أبي بكر النّجاد، وذكره من طريقه الإمام الذّهبيّ في العلوّ للعلي الغفار برقم (484)، وانظر مختصر العلوّ للإمام الألبانيّ صفحة(192).

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (وقوله: يعجب ربك من الشّاب ليست له صبوة) هذا الحديث فيه إثبات صفة العَجَب لله سبحانه وتعالى، ولكن هذا الحديث ضعيف أعلّه غير واحد من أهل العلم بابن لهيعة، وابن لهيعة ضعيف.

ولكن يغني عنه في إثبات هذه الصّفة قول الله تبارك وتعالى {**بل عجبتَ ويسخرون**}[الصّافات: 12]، قراءة حفص جاءت {بل عجبتَ ويسخرون} بفتح تاء عجبت، وجاءت أيضاً قراءة: بضم التاء {بل عجبتُ ويسخرون}، وكلا المعنيين صحيح، بل عجبتُ ويسخرون أي عجب الله تبارك وتعالى، ففيه إثبات صفة العَجَب لله تبارك وتعالى، وكذلك قال النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم: « قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما اللّيلة» قاله النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم لرجل من الصّحابة وزوجته، استضافا رجلاً، ولم كان عندهما من الطّعام ما يكفي، فأطفآ السّراج وقدَّما الطّعام، وأوهما الرّجل أنّهما يأكلان، فأكل الطّعام ونام هنيئاً قرير العين، فقال لهما النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم: «قَدْ عَجِبَ اللهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ» [1].

وأيضاً جاء في الصّحيح قول النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم: «عَجِبَ اللَّهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ فِي السَّلاَسِلِ»[2]، وهذا الحديث في صحيح البخاري فيه إثبات صفة العجب لله تبارك وتعالى.

أنكر هذه الصّفة قوم، وقالوا: لا يعجب إلا من لم يعلم، فعندما علم تعجب، فيكون في إثباتها إثبات الجهل، وهذا لا يجوز على الله سبحانه وتعالى، إذن لا يجوز أن نوصف الله سبحانه وتعالى بالعجب، لكن ردّ عليهم أهل السّنّة وقالوا: فهمكم للعجب خطأ إذ أنّكم أدركتم نوعاً من أنواع العجب وفاتكم الآخر، فالعجب نوعان

---

(1) اخرجه البخاري(4889) ومسلم(2054) واللفظ له، من حديث أبي هريرة رضيّ الله عنه .

(2) أخرجه البخاري برقم(3010) من حديث أبي هريرة رضيّ الله عنه .

وليس نوعاً واحداً: الأول: هو الّذي ذكرتموه، والله تبارك وتعالى منّزه عنه لا شك، ولا يوصف الله سبحانه وتعالى بهذا العجب.

أمّا الثّاني وهو الّذي يوصف الله تبارك وتعالى به، هو: أن يخرج الشّيء عن نظائره فتتعجب لذلك، مثلاً يكون عندك صبيٌّ صغير، هذا الصّبي يتكلّم ويحسن الكلام وأنت تعلم أنّه قادر على النُّطق بجملة معينة، ولكن العادة جرت على أن مثله ممَّن هم في سنِّه لا يتكلّمون بهذه الجملة، فعندما تخاطبه ويكلّمك بها تندهش وتتعجب من خروجها منه، فأنت تعلم مسبقاً أنّه قادر على قولها أم لا تعلم؟ تعلم، فالتّعجب لماذا حصل؟ لأنّ هذا الصّبي عندما نطق بهذه الجملة خرج عن نظائره من الأولاد الّذين لا يتكلّمون بهذه الجملة، خروج الشّيء عن نظائره هو الذي حصل بسببه التّعجب، وهو الذّي يوصف به الله سبحانه وتعالى، ولله المثل الأعلى.

إذن عندما صنع هذا الصّحابي وامرأته ما صنعا مع ضيفهما، كان يعلم الله تبارك وتعالى أنّهما سيفعلان مع ضيفهما ما فعلا، كان يعلم ذلك، لكن لمَّا كان ذلك في العادة لا يحصل حصل التّعجب.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (وقوله: يضحك الله إلى رجلين قتل أحدهما الآخر ثُمَّ يدخلان الجنَّة) هذا حديث متفق عليه وتتمته: « يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل، ثُمَّ يتوب الله على القاتل فيستشهد» ، فيضحك الله سبحانه وتعالى إلى رجلين قتل أحدهما الآخر ثُمَّ يدخلان الجنَّة، يكون أحدهما كافراً، فيلتقيان في المعركة، فالكافر يقتل المسلم، ثُمَّ يتوب إلى الله فيسلم، فيدخل هذا الجنَّة ويدخل الآخر الجنَّة، يضحك الله سبحانه وتعالى من هذين، هذا فيه إثبات صفة الضّحك لله تبارك وتعالى كما يليق بجلاله وعظمته، كما ذكرنا وكما هو مقرر؛ من غير تكييف ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تحريف.

أمّا أهل التّعطيل ففسَّروا هذه الصّفة ـ صفة الضّحك ـ بالثّواب، قالوا: يضحك الله إلى الرّجلين أي يثيبهما الله سبحانه وتعالى، أي أنّه سيدخلهما الجنَّة، وسيثيبهما، ذاك على جهاده في سبيل الله واستشهاده، والآخر على إسلامه وتوبته إلالله تبارك وتعالى، ومن ثُمَّ استشهاده، ففسَّروا الضّحك بالإثابة، وهذا تفسير بالنَّتيجة، فالضّحك شيء والإثابة شيء آخر، إذن هو ليس تفسيراً بالحقيقة، إنّما هو تفسير بالنَّتيجة، وهذا لا يصحّ، فهو تأويل وصرف للَّفظ عن ظاهره وعن حقيقته لغير دليل صحيح، فهو مردود على أصحابه، والتّلاعب بهذه الطّريقة في صفات الله تبارك وتعالى بدعة منكرة مردودة على صاحبها.

ثُمَّ قال رحمه الله تعالى: (فهذا وما أشبهه ممّا صحّ سنده)، فهذه الأحاديث الّتي ذكرها والصّفات المذكورة فيها وكلّ حديث صحَّ سنده، **(وعُدِّلت رواته؛ نؤمن به ولا نردّه ولا نجحده)** لا نكذب به **(ولا نتأوله بتأويل يخالف ظاهره)** كما تفعل المعطِّلة **(ولا نشبِّهه بصفات المخلوقين)** فنقول: الله سبحانه وتعالى يضحك ضحكاً يليق بجلاله وعظمته، لا يشبه ضحك المخلوقين، يعجب عجباً يليق بجلاله وعظمته لا يشبه عجب المخلوقين، ينزل نزولاً يليق بجلاله وعظمته لا كنزول المخلوقين... إلى آخره.

(ولا بِسماتِ المُحدَثين) السّمة هي العلامة، والمحدث هو المخلوق، أي لا نشبِّهه بصفات المخلوقين، بمعنى الجملة الّتي قبلها **(ونعلم أنَّ الله سبحانه وتعالى لا شبيه له ولا نظير)** أي ولا مثيل **(لقول الله تبارك وتعالى {ليس كمثله شيء وهو السّميع البصير})**، هذه الآية أصل في نفي التّمثيل وإثبات الأسماء والصّفات لله تبارك وتعالى.

والتّمثيل أو على تسمية البعض التشبيه: أن تقول: له يد كيدي، ووجه كوجهي، وعين كعين فلان من المخلوقين، هذا تشبيه وهو باطل ومحرم، وقد نهى الله سبحانه وتعالى عنه.

والتّعطيل: أن تنفي حقيقة الصّفة التي أثبتها الله لنفسه، فيقول النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم: « يضحك»، وأنت تقول: لا يضحك بل يثيب، يقول: « له يدان»، وأنت تقول: لا يدان له، وإنّما معنى ذلك النِّعمة أو القدرة، أو يقول الله سبحانه وتعالى له عينان، تقول: لا عينان له، بل هو بالحفظ إلى آخره، فهذا كلّه باطل لا يجوز فعله، والواجب الوقوف مع الصّفة وإثباتها كما أثبتها الله تبارك وتعالى لنفسه أو كما أثبتها النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم لله تبارك تعالى.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (وكلّ ما تخيل في الذّهن أو خطر بالبال فإن الله تعالى بخلافه) كلّ ما تصوره الذّهن أي العقل أو خطر على القلب بأنَّ الله سبحانه وتعالى مثله، فهو باطل فإنَّ الله تبارك وتعالى بخلافه وليس مثله، ولا يجوز هذا التّصور أو هذا التّخيل؛ لأنّنا لا نعلم عن الله تبارك وتعالى إلا ما علَّمنا الله تبارك وتعالى عن نفسه، فالعلم بالله سبحانه وتعالى أمر غيبيّ، لأنّنا لم نره سبحانه وتعالى، فلا يجوز إذن أن نتكلّم في شيءٍ لا نعلمه، وما أخبرنا عن نفسه أثبتناه له، وما سكت عنه سكتناه عنه، وما نفاه عن نفسه نفيناه عنه سبحانه وتعالى، هذا هو الواجب.

المتن

ومن ذلك قوله تعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}[طه: 5]

وقوله تعالى: {أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ} [الملك: 16] .

وقول النبي صلى الله عليه وسلم: « ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك».

وقال للجارية: «أين الله؟» قالت: في السماء. قال: «أعتقها فإنها مؤمنة» رواه مالك بن أنس، ومسلم، وغيرهما من الأئمة.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لحصين: «كم إلهاً تعبد؟» قال سبعة، ستة في الأرض وواحداً في السماء. قال: «من لرغبتك ورهبتك؟» قال: الذي في السماء، قال: «فاترك الستة واعبد الذي في السماء، وأنا أعلمك دعوتين»، فأسلم، وعلمه النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول: « اللهم ألهمني رشدي، وقني شر نفسي».

وفيما نقل من علامات النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في الكتب المتقدمة: أنهم يسجدون بالأرض ويزعمون أن إلههم في السماء.

وروى أبو داود في سننه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن ما بين سماءٍ إلى سماءٍ مسيرة كذا وكذا. . .». وذكر الخبر إلى قوله: «وفوق ذلك العرش، والله سبحانه فوق ذلك».

فهذا وما أشبهه مما أجمع السلف رحمهم الله على نقله وقبوله، ولم يتعرضوا لرده ولا تأويله، ولا تشبيهه، ولا تمثيله.

سئل الإمام مالك بن أنس رحمه الله فقيل: يا أبا عبد الله {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه: 5] كيف استوى؟ فقال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير

معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. ثم أَمَر بالرجلِ فأُخرِج[1].

الشرح

ثُمَّ قال المؤلف رحمه الله تعالى: **(ومن ذلك قوله تعالى{الرّحمن على العرش استوى})**، أي من الصّفات أيضاً الّتي يجب أن نثبتها لله تبارك وتعالى صفة العلوّ، هنا بدأ المؤلف رحمه الله تعالى بذكرالصّفات الثّلاثة الّتي اشتدَّ النِّزاع فيها بين أهل السّنّة وأهل البدعة، هذه الصّفات الثّلاثة من أعظم الصفات الفارقة ما بين أهل السّنّة وأهل البدع، وهي: صفة العلوّ، وصفة الكلام، وصفة رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة.

هذه الصّفات الثّلاثة خالف فيها أهل البدع المعطّلة من الجهميّة والمعتزلة والأشاعرة؛ أهل السّنّة والجماعة.

الصّفة الأولى: صفة علوِّالله تبارك وتعالى على خلقه علوّ ذات، وعلوّ مكانة، كلّه نثبته لله تبارك وتعالى، أهل البدع يثبتون علوّ المكانة ولا يثبتون علوّ الذّات، والعلوّ ثابت بأدلّة كثيرة من الكتاب والسّنّة حتّى قال بعض أهل العلم: « عندي ألف دليل على علِّو الله على خلقه» ألف دليل، وألّف في ذلك بعض أهل العلم مصنّفات منها كتاب « العلوّ» للإمام الذّهبيّ رحمه الله تعالى، ومنها أيضاً: « صفة العلوّ» لابن قدامة مؤلف هذا الكتاب، وهما كتابان نفيسان، وكتاب العلوّ للذّهبيّ اختصره الإمام الألبانيّ رحمه الله تعالى في مختصر نافع طيب حذف منه الآثار والأحاديث الضّعيفة وأبقى ما صحّ من ذلك.

---

(1) اخرجه اللالكائيّ في شرح اصول اعتقاد أهل السّنّة والجماعة برقم (664)، والدّارميّ في ادلر على الجهميّة برقم (104)، والبيهقي في الأسماء والصّفات برقم (867)، والإمام أبو اسماعيل الصّابونيّ في عقيدة السّلف أصحاب الحديث ص(38)، وانظر مختصر العلوّ للإمام الألبانيّ صفحة (141).

فعلوّالله تبارك وتعالى بنصوص كثيرة.

منها ما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى، **(قال الله تبارك وتعالى:{الرّحمن على العرش استوى})**[طه: 5]، (الرّحمن) هو ربُّ العزة تبارك وتعالى، (على العرش) العرش في اللّغة هو سرير الملك، وهو عرش عظيم لله تبارك وتعالى له قوائم، تحمله الملائكة، وهو أعلى المخلوقات وسقف الجنَّة، فوق الفردّوس الأعلى الذي هو أوسط الجنَّة وأعلاها، والرّحمن تبارك وتعالى استوى عليه أي علا وارتفع، علا وارتفع على عرشه كما جاء التّفسير عن أبي العالية الرّياحيّ وعن مجاهد وغيرهم من السّلف(1)، فالرّحمن على العرش استوى بمعنى علا وارتفع على عرشه.

نثبت لله تبارك وتعالى هذه الصّفة وهي صفة العلوّ، فالله سبحانه وتعالى عالٍ على خلقه بنصوص كثيرة، منها هذه الآية.

ومنها قول المصنف أيضاً: **(وقول الله تعالى: {ءأمنتم من في السّماء})**[الملك: 16]، هذه الآية أيضاً تدلُّ على علوِّ الله على خلقه، ويؤيدها أيضاً ما سيأتي من أدلّة، ومعنى قوله تبارك وتعالى (في السّماء) أي على السّماء، فالسّماء لا تكون ظرفاً لله تبارك وتعالى، لا تحيط به، ولكنّه على السّماء، يؤيد ذلك قول الله تبارك وتعالى{**الرّحمن على العرش استوى**} أي أنّه علا وارتفع على العرش، والعرش أعلى المخلوقات، فـ (في السّماء) هنا بمعنى على السّماء، وهل يصحّ هذا في اللّغة أن يقال في السّماء معناها: على السّماء؟

نعم يصحّ، من ذلك قول الله تبارك وتعالى عن فرعون: **{ولأصلِّبنكم في جذوع النَّخل}**[طه: 71] التّصليب يكون أين؟ على جذوع النَّخل.

---

(1) انظر صحيح البخاري (124/9- طبعة طوق النجاة)

وكذلك قول الله تبارك وتعالى:{**فسيحوا في الأرض**}[التّوبة: 2]، أي فسيحوا على الأرض، إذن هذا أمر مقرر ومعروف في اللّغة أنَّ (في) تأتي بمعنى(على) فهو من هذا الباب.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (وقول النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم: « ربنا الله الّذي في السّماء تقدَّس اسمك...») هذا حديث أخرجه أبوداود وغيره، ولفظه: «من اشتكى منكم شيئا أو اشتكاه أخ له فليقل: ربنا الله الّذي في السّماء تقدّس اسمك، أمرك في السّماء والأرض، كما رحمتك في السّماء، فاجعل رحمتك في الأرض، اغفر لنا حُوبَنا وخطايانا أنت رب الطّيبيين، أنزل رحمة من رحمتك شفاء من شفائك على هذا الوجع، فيبرأ» كذا قال في الحديث، ولكنّه حديث ضعيف جداً، في إسناده زيادة بن محمد: منكر الحديث كما قال البخاري وأبو حاتم والنَّسائيّ وغيرهم من العلماء، فهذا الحديث لا يصحُّ الاستدلال به.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (وقال للجارية – أي النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم– «أين الله؟» قالت: في السّماء، قال: «اعتقها فإنّها مؤمنة»، فشهد لها النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم بالإيمان بقولها بأنّ الله في السّماء، أي على السّماء، رواه مسلم في صحيحه، ولم يقدح في هذا الحديث إلا أهل البدع والضّلال الّذين لم يعجبهم ما فيه من معنى، فأهل البدع مع حديث النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم وضعوا لهم قواعد تخدم مصالحهم فيها.

عندهم تقرير العقائد يكون بعقولهم لا بالكتاب والسّنّة، فإذا خالفت السنة عقولهم؛ إما ضعفوها أو حرفوها، هذه طريقتهم في التعامل معها، وأما الآيات فيحرفونها؛ لأن الأصل عندهم في تقرير العقيدة العقل، وكل ما خالفه بعد ذلك يرد لا يُؤمَن به،

هذا أعظم فارق بيننا وبينهم، نحن نأخذ عقيدتنا من الكتاب والسنة الصحيحة ولا يمكن لهذه النصوص أن تخالف العقل الصريح إلا في أوهام أصحاب الأهواء فقط.

فأمّا أهل السّنّة والجماعة يقررونَّ العقيدة بأدلّة الكتاب والسّنّة، والعقلانيّون من الجهميّة والمعتزلة والأشاعرة يقررون العقيدة بما ينسجم مع عقولهم، وما لا ينسجم مع عقولهم لا يثبتونه، فإذا تعارضت الأدلّة من نصوص الكتاب والسّنّة مع ما ظنّوه بعقولهم أنّها عقليّات، وهي في الحقيقة جهليات وخيالات وشطحات من عندهم، فإذا تعارض هذا مع نصوص الكتاب والسّنّة، ردّوا نصوص الكتاب والسّنّة، فأمّا القرآن فيؤولونه كما تقدّم معنا من تأويلاتهم في الصّفات، أمّا السّنّة فيقسِّمونها إلى قسمين: يقولون: منها ما هو متواتر، ومنها ما هو آحاد، أمّا المتواتر يؤخذ به في العقائد، وإذا خالف العقل يحرف، وأمّا الآحاد فلا يؤخذ به في العقائد عندهم، هذا الّذي يقررونه من اعتقاد، وبذلك يتخلَّصوا من أكثر سنّة النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم، يقررون ما شاءوا بعقولهم، إذا عارضتهم سنّة قالوا: هذا خبرآحاد ضعه على جنب، أحسنهم حالاً يقول: طيب فلنؤوله كما أولنا بقية الأدلّة من الكتاب والسّنّة، هكذا يتعاملون مع نصوص الشّرع، نسأل الله السّلامة والعافية، وقد أمرنا الله تبارك وتعالى بالأخذ بالشرع وباتباع منهج السلف الصالح، وحثنا على ذلك في كل شيء، في آيات كثيرة، وأن نتحاكم إليه عند الخلاف لا إلى العقل، ولكن هذه نتيجة الاعتماد على العقل والهوى، وترك الاتباع الذي أمر به الله تبارك وتعالى.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (وقال النبي صلّى الله عليه وسلَّم لحصين: « كم إلهاً تعبد؟» قال: سبعة، ستة في الأرض وواحد في السّماء، قال: «من لرغبتك ورهبتك؟» قال: الّذي في السّماء، قال: « فاترك السّتة، واعبد الّذي في السّماء، وأنا أعلِّمك دعوتين»، فأسلم، وعلَّمه النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم أن يقول: «اللهمَّ ألهمني رشدي وقني شر نفسي» هذا أخرجه التّرمذيّ وغيره وهو ضعيف أيضاً.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (وفيما نقل من علامات النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم وأصحابه في الكتب المتقدمة؛ أنّهم يسجدون بالأرض، ويزعمون أنَّ إلـههم في السّماء)، ذكره المؤلف بصيغة التّمريض، وهو ضعيف، أخرجه الأمويّ في «المغازي»، ومن طريقه أخرجه ابن قدامة في «العلوّ»، وأخرجه الذّهبيّ في «العلوِّ» من طريق ابن قدامة، وذكر إسناده عن عديّ بن عميرة من قوله عنهم وليس من قول اليهودي، قال: «عن عدي بن عميرة بن وفرة العبدي، قال: كان بأرضنا حبر من اليهود يقال له ابن شهلان... فذكر الحديث نحواً مما تقدم، وآخره: فخرجت مهاجراً إلى النبي صلى الله عليه وسلم فإذا هو ومن معه يسجدون على وجوههم ويزعمون أن إلههم في السماء فأسلمت وتبعته».انتهى قال الذهبي: غريب.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (وروى أبوداود في سننه أنَّ النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم قال: « إنَّ ما بين سماءٍ إلى سماء مسيرة كذا وكذا ـ وذكر الخبر إلى قوله ـ: وفوق ذلك العرش، والله سبحانه فوق ذلك)، هذا حديث العباس بن عبد المطلب الّذي فيه ذكر الأوعال، وهو حديث أخرجه أبوداود والتّرمذيّ وغيرهما وهو ضعيف أيضاً، ولكن الأدلّة الّتي تدلّ على العلوَّ كثيرة، وليت المؤلف أتى بما هو أصحّ من هذه، فيوجد في الصّحيحين أحاديث أقوى وأجود من هذه الأحاديث الّتي ذكرها المؤلف رحمه الله تعالى.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (فهذا وما أشبهه ممَّا أجمع السّلف رحمهم الله على نقله وقبوله ولم يتعرضوا لردّه ولا تأويله ولا تشبيهه ولا تمثيله)

نقل إجماع السّلف على إثبات الصّفات غير واحد من العلماء، منهم ابن عبد البر وغيره من علماء الإسلام، فالسّلف مجمعون جميعاً على إثبات مثل هذه الصّفات،

ومنها: ثبوت علو الذات لله، وكونه في السماء، أي أنه عالٍ على خلقه بذاته تبارك وتعالى، فوق جميع خلقه بذاته تبارك وتعالى .

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (سئل الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى فقيل: يا أبا عبد الله: الرّحمن على العرش استوى، كيف استوى؟ فقال: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسّؤال عنه بدعة»، ثُمَّ أمر بالرّجل فأُخرج).

وفي رواية: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول»

أي طرد من المجلس الّذي فيه الإمام مالك رحمه الله تعالى، الإمام مالك معروف، وشهرته أكثر من أن تذكر، فهو إمام عظيم من أئمة أهل السّنّة والجماعة، إمام أهل المدينة في زمنه رحمه الله تعالى.

وهذه القاعدة الّتي قعّدها رحمه الله هي أصل وقاعدة عظيمة مشى عليها السّلف جميعاً، جميع السّلف كانوا عليها، وهي قاعدة ينبغي للخلف أن يتقيّدوا بها: **الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسّؤال عن الكيف بدعة**، ضع مكان الاستواء كلّ صفة تثبت في كتاب الله أو في سنّة رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم وامضِ على هذا.

(الاستواء معلوم) أي معلوم في اللّغة العربية، بمعنى العلوّ والارتفاع.

(والكيف مجهول) كيفية الاستواء، أي كيف استوى الله سبحانه وتعالى على عرشه، هذه مجهولة بالنّسبة لنا، فلا نتكلّم فيها ولا نخوض فيها ولا نسأل عنها، لان الله تبارك وتعالى لم يبينها لنا، فلا يوجد شيء في الأدلة الشرعية يبينها لنا.

(والسّؤال عنها بدعة) إذ لم يكن في عهد النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم، ولا كان في عهد الصّحابة رضي الله عنهم، بهذه القاعدة نمشي على منهج السّلف رضي الله تبارك وتعالى عنهم.

المتن

فصل كلام الله

ومن صفات الله تعالى أنه متكلم بكلام قديم يسمعه منه من شاء من خلقه، سمعه موسى عليه السلام منه من غير واسطة، وسمعه جبريل عليه السلام، ومن أذن له من ملائكته ورسله، وأنه سبحانه يكلم المؤمنين في الآخرة ويكلمونه، ويأذن لهم فيزورونه.

قال الله تعالى: {وَكَلَّمَ الله مُوسَى تَكْلِيمًا} [النساء: 164] وقال سبحانه: {يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي} [الأعراف: 144] وقال سبحانه: {مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ الله} [البقرة: 253] وقال سبحانه: {وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ الله إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ} [الشورى: 51] وقال سبحانه: {فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى} [طه: 11 - 12] وقال سبحانه: {إِنَّنِي أَنَا الله لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي} [طه: 14] وغير جائز أن يقول هذا أحد غير الله.

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: « إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء »، وروي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وروى عبد الله بن أُنيس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يَحشرُ الله الخلائق يوم القيامة عُراةً حفاةً غرلاً بهماً، فيناديهم بصوت يسمعه من بَعُدَ كما يسمعه من قَرُبَ: أنا المِلك أنا الدَّيان» ، رواه الأئمة، واستشهد به البخاري.

وفي بعض الآثار أن موسى عليه السلام ليلة رأى النار فهالته ففزع منها، فناداه ربه: يا موسى، فأجاب سريعاً استئناساً بالصوت، فقال: لبيك لبيك، أسمع صوتك ولا أرى مكانك، فأين أنت؟ فقال: أنا فوقك وأمامك وعن يمينك وعن شمالك ، فعلم أن هذه الصفة لا تنبغي إلا لله تعالى، قال: كذلك أنت يا إلهي، أفكلامك أسمع، أم كلام رسولك؟ قال: بل كلامي يا موسى» .

هذه الصّفة لله تبارك وتعالى من أعظم الصّفات الّتي نازع فيها أهل البدع والضّلال أهل السّنّة والجماعة، بل قيل: إنَّ المتكلّمين لم يسمَّوا بهذا الإسم (المتكلمون) إلا نسبة لهذه الصّفة (صفة الكلام)، فأهل السّنّة والجماعة، يثبتون لله تبارك وتعالى كلاماً حقيقياً يليق بجلاله وعظمته، يتكلّم سبحانه بحرف وصوت، كلاماً حقيقياً بحرف وصوت على مقتضى الأدلّة الّتي جاءت في كتاب الله، وفي سنّة رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم، وهي كثيرة واضحة صريحة محكمة، فلا يجوز الخروج عنها، ولا القول بقول يخالف ما دلّت عليه.

خالف في ذلك الجهميّة والأشاعرة؛ فالجهميّة أتباع الجهم بن صفوان ينفون عن الله تبارك وتعالى صفة الكلام ولا يثبتونها له، يقولون: يخلق كلاماً ثُمَّ يسمعه من شاء من عباده.

أمَّا الأشاعرة فإنّهم يثبتون كلاماً ليس كلاماً حقيقياً، بل يثبتون كلاماً نفسياً! وليس كلاماً بحرف وصوت، أي ليس الكلام الحقيقي الّذي أراده الله سبحانه وتعالى في كتابه.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (ومن صفات الله تعالى) أي: مما يتصف به الله سبحانه وتعالى، ومن الصّفات الّتي نثبتها لله تبارك وتعالى؛ لثبوتها في الكتاب والسّنّة؛ صفة الكلام.

قال: (ومن صفات الله تعالى أنّه متكلّم بكلام قديم) كلام الله كما ذكرنا كلام حقيقي بحرف وصوت، وسيأتي دليل الحرف والصّوت، وهو **قديم النَّوع حادث الآحاد،** ونعني بهذه الجملة: قديم النَّوع: أي أصل صفة الكلام أزليّة قديمة، لم يأتِ وقت من الأوقات لم تكن موجودة ثُمَّ وجدت، بل هي موجودة من الأزل أي القدم، وتبقى موجودة لا يأتي وقت تزول فيه.

وهي صفة ذاتيّة فعليّة أيضاً، فهي من حيث أصل الصّفة أزليّة قديمة، أمَّا بالنَّظرإلى آحاد هذه الصّفة، فهنا تكون حادثة، أي: أنَّ الكلام الّذي يتكلّم الله تبارك وتعالى به في وقت دون وقت، أي آحاد كلامه؛ حادث، ككلامه موسى عليه السّلام يوم أن كلّمه الله تبارك وتعالى ما كان موجوداً قبل أن يكلّم الله موسى إنّما حدث بعد أن كلّمه الله سبحانه وتعالى، فهذا الكلام يسمّى آحاداً لصفة الكلام.

هذا معنى قولنا: **قديم النَّوع حادث الآحاد**. فمعنى ذلك أنَّ الله سبحانه وتعالى متصف بصفة الكلام، دائماً هو موصوف بهذه الصفة، لكنه يفعلها متى شاء، فيتكلّم بكلام حقيقي، يتكلّم به متى شاء وكيفما شاء سبحانه، فهو راجع إلى مشيئته متى شاء تكلم، ومتى شاء لم يتكلم، ولكن دائماً نصفه بصفة الكلام .

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (يسمعه منه من شاء من خلقه، سمعه موسى عليه السّلام منه من غير واسطة، وسمعه جبريل عليه السّلام، ومن أذن له من ملائكته و رسله)

يسمعه من الله تبارك وتعالى من شاء الله من خلقه، فالله سبحانه وتعالى يُسمعه لمن يشاء، كما أسمعه لموسى عليه السّلام، فسمع موسى كلام الله مباشرة من غير واسطة، قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: لقوله تعالى: {**وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى**} وأسمعه لمحمد صلّى الله عليه وسلَّم، ولجبريل ومن شاء من ملائكته ورسله، فهو كلام حقيقي بحرف وصوت يسمعه من شاء من خلقه تبارك وتعالى.

بخلاف من يقول بأنه كلام نفسي، يعني هو معنى موجود في النفس لا يُسمع، فلا يكون بحرف وصوت، ولا يتعلق بمشيئته، هذا قول الأشاعرة من المتكلمين، هذا خلاف الأدلة التي سيذكرها المؤلف التي تدل على أنه كلام حقيقي بحرف وصوت يُسمع، وخلاف إجماع السلف .

قال: (وأنّه سبحانه يكلّم المؤمنين في الآخرة و يكلّمونه) كما جاءت بذلك الأحاديث الصّحيحة، كحديث أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ؟ فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لاَ نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»(1) متفق عليه.

قال المؤلف: (ويأذن لهم فيزورونه) ورد في ذلك حديث ضعيف[2].

(قال الله تعالى: {وكلّم الله موسى تكليماً}) [النِّساء: 162]، (وكلّم الله موسى) الله هو المتكلّم، (وكلّم) فعل، و(الله) هو الفاعل أي هو المتكلّم، و(موسى) هو السّامع، و(تكلّيماً) مصدر مؤكد يؤكد الحقيقة وينفي المجاز كما قال أهل العلم، فالتّأكيد ينفي المجاز، فبالتّالي لم يعد عندنا مجال للشكّ أنه كلام حقيقيّ وليس مجازاً؛إذ أَكَّدَهُ بقوله: تكلّيماً، فجاء بكلّمة (تكلّيماً) لتأكيد كلامه لموسى.

وقد أشكلت هذه الآية على بعض المحرّفين من أهل التعطيل؛ فما وجد فيها حيلة مع نفيّه لصفة الكلام، وكما قلنا: هم لا يعظّمون كتاب الله، ولا سنّة رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم، إذ إنّهم لا يأخذون عقائدهم من منها، بل عقائدهم يقرّرونها بعقولهم، فلمّا أشكلت عليه هذه الآية ماذا فعل؟ حرّفها وأراد أن يقرأها، فقال: وكلّم الله- بفتح الهاء- موسى، ماذا تصبح هكذا؟ جعل الله هو السّامع و موسى هو

(1) أخرجه البخاري (7518) ، ومسلم (2829)

(2) فقد روى التّرمذي(2569) وابن ماجه(4336) وغيرهما عن أبي هريرة _ رضيّ الله عنه _ : إن أهل الجنّة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم، ثُمَّ يؤذن لهم في مقدار يوم في يوم الجمعة من أيام الدّنيا، فيزورون ربهم ويبرز لهم عرشه . . . الحديث. ضعيف فيه عبد الحميد بن حبيب ابن أبي العشرين (السّلسة الضّعيفة : 1722).

المتكلّم! هذه البدع وما تجرُّ إليه، و كما قال بعض السلف: «البدعة بريد الكفر»[1] توصلك إلى الكفر، فهي طريق إليه.

(وقال سبحانه: يا موسى إنّي اصطفيتك على النَّاس برسالاتي وبكلامي})[الأعراف: 144].

(يا موسى إنّي اصطفيتك على النَّاس) أي اخترتك من بينهم، (برسالاتي) فأرسلتك إلى خلقي الّذين أرسلتك إليهم، (وبكلامي) لك من غير واسطة، فاصطفيتك على النَّاس في ذلك، فيه إثبات كلام الله تبارك وتعالى لموسى، وأنّ الله اصطفاه بذلك.

(وقال سبحانه: {منهم من كلّم الله}) (البقرة 253) أي: من الرّسل من كلّمه الله وهو موسى و محمد صلّى الله عليه وسلَّم.

(وقال سبحانه: وما كان لبشر أن يكلّمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب }) (الشّورى 51) أي: إمّا أن يكلّمه الله سبحانه وتعالى من غير واسطة، و لكن من وراء حجاب، أو يعلمه إعلاماً خفياً سريعاً.

الشّاهد هنا أنّ من البشر من يكلّمه الله سبحانه وتعالى.

(وقال سبحانه: { فلمّا أتاه نودي يا موسى* إنّي أنا ربك}) [طه 11، 12]

فلما أتى موسى النار نودي يا موسى، أي: ناداه ربُّ العزة تبارك وتعالى، وإلا فمن ذا الّذي سيقول: { إنّي أنا ربك} ؟!

لا شك أنَّ المتكلّم بهذا هو الله سبحانه وتعالى.

والنِّداء لا يكون إلا بصوت، هذا دليل على أنّ كلام الله بصوت.

---

(2) مجموع الفتاوي: 2/552 ، قال ابن تيمية: ولهذا قال من قال من السّلف: البدع بريد الكفر والمعاصي بريد النفاق.

قال المؤلف: (وقال سبحانه: {إنّني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدوني})[طه: 14]،

ثم قال المؤلف: « وغير جائز أن يقول هذا أحد غير الله».

من ذا الّذي سيقول مثل هذا: {**إنّني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدون**} ؟!

هذا ردّ قاطع على الّذين يقولون بأنّ الله لا يتكلم حقيقة، أي مخلوق يقول هذا الكلام: (إنّني أنا الله لا إله إلا أنا)؟! تعالى الله عمّا يقول الظّالمون علوّاً كبيراً.هذا الكلام لا يقوله إلا الله ، فالله يتكلم حقيقة بصوت سمعه موسى.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه) وهو الصّحابيُّ المعروف: **(إذا تكلّم الله بالوحي، سمع صوته أهل السّماء. روي ذلك عن النّبي صلّى الله عليه وسلَّم**[1])، الشّاهد فيه قوله: (سمع صوته) إثبات الكلام والصّوت لله تبارك وتعالى، فالله يتكلّم بصوت، هذا الحديث أخرجه أبوداود وابن حبّان وغيرهما بلفظ: « إنَّ الله إذا تكلّم بالوحي سمع أهل السّماوات للسَّماء صلصلة كجَرَّ السّلسلة على الصّفا – أي على الصّخر – فيصعقون فلا يزالون كذلك حتي يأتيهم جبريل، فإذا جاءهم فزِّع عن قلوبهم ، فيقولون: يا جبريل ماذا قال ربك؟ يقول: الحق، فينادون: الحق الحق» وهو صحيح، وأخرجه البخاري موقوفاً بلفظ: « سمع أهل السّماوات شيئاً».

(1) ذكره البخاري رحمه الله تعالى معلقاً في صحيحه، موقوفاً على ابن مسعود رضيّ الله عنه: كتاب التّوحيد، قوله تعالى: ولا تنفع الشّفاعة عنده إلا عن اذن له حتّى إذا فزّع عن قلوبهم قالوا ماذا قالوا ربكم قال الحق وهو العليّ الكبير. وروه أبو داوود في سننه مرفوعاً عن ابن مسعود(7438). وقد تفردّ به أبو معاوية الضّرير عن الأعمش؛ فالصّحيح الموقوف ولكن هذا له حكم الرّع؛ إذ لا مجال للرأي فيه. راجع السّلسلة الصّحيحة(1293).

وأمَّا كلمة « سمع صوته أهل السّماء» ففي نفس الحديث لكن بلفظ آخر، احتج به الإمام أحمد على إثبات الصّوت، أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في السّنّة بإسناده[1] وأخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى [2]وغيرهما.

وكما ذكرنا احتجّ به الإمام أحمد رحمه الله تعالى، وقال السّجزيّ: وما في رواة هذا الخبر إلا إمام مقبول[3].

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (وروى عبد الله بن أنيس عن النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم أنّه قال: « يحشر الخلائق يوم القيامة عراةً حفاةً غرلاً بهماً، فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب، أنا الملك، أنا الملك، أنا الدّيان)

رواه أئمّة ، واستشهد به البخاري[4] .

الشّاهد في هذا الحديث قوله: (فيناديهم بصوت)، للتأكيد، فالنِّداء أصلاً يكون بصوت، فهنا تأكيد على أن النِّداء يكون بصوت، لكن أراد أن يقول بأنَّ الصّوت هذا يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب، لا فرق بين البعيد والقريب في سماع هذا الصّوت.

هذا الحديث: حديث عبدالله بن أنيس؛ حديث حسن، علّقه الإمام البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه، ووصله الإمام أحمد وغيره، وهو حسن، وفيه إثبات صفة الصّوت لله تبارك وتعالى، وإثبات صفة الكلام بصوت وحرف لله تبارك وتعالى.

---

(2) السّنّة له (ص356) .
(3) الإبالة الكبرى (ص16) .
(4) رسالة السّجريّ إلى أهل زبيد في الرّدّ على من أنكر الحرف والصّوت(ص254) .
(1) أخرجه البخاري تعليقاً (التّوحيد،باب قول الله تعالى:ولا تنفع الشّفاعة إلا بإذنه...)،وفي الأدب المفردّ(970) وفي مسند الإمام أحمد (16042)،وفيالمعجم الأوسط للطبرانيّ(8593)،وفي الكبير له(331) وآخرون عن عبد الله بن أنيس رضيّ الله عنه.

ثُمَّ قال المؤلف رحمه الله تعالى: (وفي بعض الآثار أنّ موسى عليه السّلام ليلة رأى هذه الصّفة لا تنبغي إلا لله تعالى، قال: كذلك أنت يا إلهي أفكلامك أسمع أم كلام رسولك؟ قال: بل كلامي يا موسى[1])

كلّه فيه الكلام والتّنصيص على الصّوت أيضاً، لكن هذا الأثر يرويه وهب بن منبه وهو معروف برواية الإسرائيليّات، فهذا الأثر من الإسرائيليّات، والإسرائيليّات كما قال النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم: « حدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج »[2]، وقال: « لا تصدِّقوهم ولا تكذِّبوهم »[3].

فهذا الأثر لا ندري عن ثبوته بإسنادٍ صحيح، فلذلك هو خبر كما ذكرنا من أخبار بني إسرائيل فلا نصدّقها ولا نكذِّبها، لكن ما ورد فيه من إثبات صفة الكلام وبالصّوت أغنت عنه الأدلّة الّتي تقدمت، والأثر أخرجه الإمام أحمد في كتاب الزّهد عن وهب بن منبه فهو ضعيف، لكن الظّاهر أنَّ المؤلف رحمه الله تعالى ذكره استئناساً من باب تكثير الأدلّة، وإلا ما ذكر من أدلّة كافٍ في إثبات هذه الصّفة.

وعندما نثبت الصوت نرد على الذين يقولون بأن كلام الله غير حقيقي، بل هو كلام نفسي، وهم الأشاعرة.

والمخالفون لأهل السّنّة في صفة الكلام كما قدّمنا منهم الجهميّة، قالوا: ليس الكلام من صفات الله تبارك وتعالى، وإنّما هو خلق من مخلوقات الله، يخلقه في الهواء أو في المحل الّذي يسمع منه، ويضاف إلى الله سبحانه وتعالى إضافة تشريف، كما تقول في البيت: بيت الله، أو في النَّاقة: ناقة الله سبحانه وتعالى، هذا قولهم وهو قول باطل.

---

(2) الزّهد للإمام أحمد(342)، والشّريعة للآجريّ(692) .

(3) البخاري(3461) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضيّ الله عنهما.

(4) أحمد (17225)، أبو داوود(3644) عن أبي نملة الأنصاري رضيّ الله عنه .

إضافة التّشريف هذه لا تحمل إلا على شيء يقوم بذاته كالكعبة، والنَّاقة، أمَّا إذا كان الشّيء وصفاً لا يقوم بذاته، وأضافه الله سبحانه وتعالى لنفسه، فيكون صفة من صفاته.

وهم نفوا هذه الصّفة فقالوا: لأنّ الكلام لا يكون إلا للأجسام، وإذا أثبتنا الكلام لله سبحانه وتعالى نكون قد شبّهناه بالمخلوقات، وهو كلام باطل، هذا ما استدلّوا به، وسيأتي كلام الأشاعرة.

فهذا الكلام باطل، لأننا قلنا بأنَّ كلام الله سبحانه وتعالى كلام يليق بجلاله، وعظمته، لا يشبه كلام المخلوقين، كما قلنا في الذّات، وكما قلنا في الوجود، وكما قلنا في بقية الصّفات.

وأمَّا الفرقة الثّانية الّتي خالفت أهل السّنّة والجماعة في مسألة الكلام الأشاعرة.

الأشاعرة أثبتوا كلاماً لله تبارك وتعالى ولكنّه ليس كلاماً حقيقياً بحرف وصوت، بل هو كلام نفسيّ، يخلق الله سبحانه وتعالى الأشياء، ويعِّبر عن كلامه الّذي في نفسه بخلقه الّذي خلقه، هكذا يقرّرون، وهذا كلام باطل، بل الله سبحانه وتعالى يتكلّم كلاماً حقيقياً بحرف وصوت، ويسمعه من شاء من خلقه، كما قدمنا الأدلّة على ذلك من كلام المصنف رحمه الله تعالى، والذّي حملهم على هذا أنّهم قالوا: بأنّ الكلام إذا أثبتناه يلزم أن نثبت الآلات الّتي يحصل بها الكلام كاللّسان والشّفتين والحلق.. إلى آخره.

قلنا: هذا اللازم ليس بلازم، هذه إلزامات ناتجة أصلاً عن التّشبيه عندكم، شبهتم كلام الله سبحانه وتعالى بكلام المخلوق، ثُمَّ أردتم أن تفرّوا من التّشبيه فوقعتم في التّعطيل.

فنقول لهم: أثبتوا لله كلاماً يليق بجلاله وعظمته وينتهي الأمر.

ثُمَّ نقول لهم: ليس كلّ من يتكلّم يتكلّم بآلات ، ليس كلّ من يتكلّم يحتاج إلى آلات الكلام التي عند البشر، ثبت في الكتاب والسّنّة أنّ الجنَّة والنَّار تتكلّمان أم لا[1]؟ ثبت، وثبت أيضاً في الكتاب والسّنّة أنّ الحجر يتكلّم [2] أم لا؟ ثبت، والشّجر يتكلّم أم لا؟[3]ثبت، وتنطق أيضاً أعضاء الإنسان يوم القيامة وتشهد عليه أم لا؟[4] نعم.

فيحدث كلام ومن غير أن توجد هذه الآلات، فلا حاجة لها فالله قادر على كل شيء

.

إذن لا يلزم للكلام وجود هذه الآلات حتى عند المخلوق فما بالك بالخالق، فلذلك نحن نقول لهم: قولوا كما نقول: نثبت كلاماً لله سبحانه وتعالى يليق بجلاله وعظمته، ولا يشبه كلام المخلوقين وينتهي الأمر، بذلك تفرُّون من التّشبيه، وتفرُّون أيضاً من التّعطيل، وتقفون مع كتاب الله وسنّة رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم، ولا تكذبون الشرع ولا العقل الصحيح.

---

(1) قال تعالى يوم نقول لجهنَّم هل امتلأت وتقول هل من مزيد[ق] وفي المتفق عليه عند البخاري (7559) ومسلم (2846) ومن حديث أبي هريرة رضيّ الله عنه: احتجت النَّار والجنّة، فقالتّ هذه: يدخلني الجبّارون، وقالتّ هذه يدخلني الضّعفاء.

(2) قال تعالى: وإن من شيء إلا يسبّح بحمده[الإسراء:44]، وفي الحديث في قصة موسى عليه السّلام عندما لحق موسى الحجر أخذ ينادي: ثوبي يا حجر: البخاري(278)، ومسلم(75) من حديث أبي هريرة رضيّ الله عنه.

(3)متفق عليه: البخاري(2926)، مسلم(82) وهناك أدلّة أخرى.

(4) قال تعالى: اليوم نختم على أفواههم وتكلّمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون(يس/65).

المتن

فصل القرآن كلام الله

ومن كلام الله سبحانه القرآن العظيم، وهو كتاب الله المبين، وحبله المتين، وصراطه المستقيم، وتنزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين، على قلب سيد المرسلين، بلسان عربي مبين، مُنَزَّلٌ غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود.

وهو سور محكمات، وآيات بينات، وحروف وكلمات.

من قرأه فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات، له أول وآخر، وأجزاء وأبعاض، متلو بالألسنة، محفوظ في الصدور، مسموع بالآذان، مكتوب في المصاحف.

فيه محكم ومتشابه، وناسخ ومنسوخ، وخاص وعام، وأمر ونهي.

{لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} [فصلت: 42]

وقوله تعالى: {قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} [الإسراء: 88].

وهو هذا الكتاب العربي الذي قال فيه الذين كفروا: {لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ} [سبأ: 31] وقال بعضهم: {إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ} [المدثر: 25] فقال الله سبحانه: {سَأُصْلِيهِ سَقَرَ} [المدثر: 26] وقال بعضهم: هو شعر، فقال الله تعالى: {وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ} [يس: 69].

فلما نفى الله عنه أنه شعر، وأثبته قرآناً؛ لم يبق شبهة لذي لُبٍّ في أن القرآن هو هذا الكتاب العربي، الذي هو كلمات وحروف وآيات؛ لأن ما ليس كذلك لا يقول أحد إنه شعر.

وقال عز وجل: {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ} [البقرة: 23] ولا يجوز أن يتحداهم بالإتيان بمثل ما لا يدري ما هو ولا يعقل.

وقال تعالى: {وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي} [يونس: 15] فأثبت أن القرآن هو الآيات التي تتلى عليهم.

وقال تعالى: {بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ} [العنكبوت: 49].

وقال تعالى: {إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ - فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ - لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ} [الواقعة: 77 - 79] بعد أن أقسم على ذلك.

وقال تعالى: {كهيعص} [مريم: 1] {حم - عسق} [الشورى: 1 - 2].

وافتتح تسعاً وعشرين سورة بالحروف المقطعة.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «من قرأ القرآن فأعربه؛ فله بكل حرف منه عشر حسنات، ومن قرأه ولحن فيه؛ فله بكل حرف حسنة» حديث صحيح.
وقال عليه الصلاة والسلام: «اقرأوا القرآن قبل أن يأتي قوم يقيمون حروفه إقامة السهم لا يجاوز تراقيهم، يتعجلون أجره ولا يتأجلونه».
وقال أبو بكر وعمر رضي الله عنهما: إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ بعض حروفه.
وقال علي رضي الله عنه: من كفر بحرف منه؛ فقد كفر به كله.
واتفق المسلمون على عد سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه.
ولا خلاف بين المسلمين في أن من جحد من القرآن سورة أو آية أو كلمة أو حرفاً متفقاً عليه أنه كافر، وفي هذا حجة قاطعة على أنه حروف.

الشرح

هذه المسألة مبنيّة على ما مضى، فمن أثبت كلاماً حقيقياً لله بحرف وصوت؛ قال: **القرآن كلام الله** تكلّم به سبحانه وتعالى، ومن نفى الكلام عن الله تبارك وتعالى وقال: الله لا يتكلّم، قال: القرآن مخلوق، ومن قال إنَّ الكلام نفسيٌّ قديم لا يتجزأ، كما قاله الأشاعرة، فيقول: القرآن أيضاً مخلوق، هذه حقيقة قولهم، هذه حقيقة قول الأشاعرة أنَّ القرآن الذي بين أيدينا مخلوق.

وقد قال غير واحد من السّلف نصاً: « من قال القرآن مخلوق فقد كفر»[1]؛ لأنّه مكذب لكتاب الله تبارك وتعالى.

المراد الآن: أن القرآن من كلام الله، تكلم به حقيقة .

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (ومن كلام الله سبحانه: القرآن العظيم، وهو كتاب الله المبين) أي البيّن الواضح، الّذي يبيّن الله سبحانه وتعالى فيه ما يحتاجه العباد، قال تعالى: {تلك آيات الكتاب المبين}[الشعراء: 2]

(وحبله المتين) المتين: القويّ، القرآن هوالحبل الواصل بين الله سبحانه وتعالى وخلقه، قال سبحانه وتعالى{ واعتصموا بحبل الله جميعاً **}**[آل عمران: 103].

قال: (وصراطه المستقيم) أي الطّريق المستقيم الّذي يوصل إلى الله سبحانه وتعالى هو كتاب الله تبارك وتعالى، قال الله سبحانه وتعالى :{اهدنا الصّراط المستقيم}[الفاتحة: 6].

(وتنزيل ربِّ العالمين) نزل من عند الله تبارك وتعالى، نزله رب العزة تبارك وتعالى .

انظر لشّريعة (48911/506،1) رقم 174 والإبانة الكبرى(300،290،239) و خلق أفعال العباد ص 301

قال سبحانه وتعالى :{وإنّه لتنزيل رب العالمين - نزل به الرّوح الأمين -على قلبك لتكون من المنذرين}[الشّعراء: 192-194] وقال: { كتاب أنزلناه إليك}[ص: 29] فهذا الكتاب منزل من عند الله تبارك وتعالى.

(**نزل به الرّوح الأمين**) جبريل عليه السّلام (**على قلب سيد المرسلين**) سيدنا محمد صلّى الله عليه وسلَّم، قال تعالى: {وإنّه لتنزيل رب العالمين - نزل به الرّوح الأمين - على قلبك لتكون من المنذرين}[الشّعراء: 192-194] (**بلسان عربيٍّ مبين**) فصيح واضح بين جلي لا خفاء في ألفاظه ومعانيه، قال تعالى: {الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (1) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}[يوسف:1و2]

(**منزَّل غير مخلوق**) منزّل من عند الله، وهو كلامه وليس مخلوقاً، خلافاً لمن قاله من المعطِّلة، سيذكر المؤلف الأدلة على ذلك.
(**منه بدأ، وإليه يعود**) منه بدأ كلاماً له، فهو الّذي تكلّم به فبدأ منه سبحانه، وهذا ردّ على الّذين يقولون: خلق الكلام في محل فبدأ الكلام من ذلك المحل، فردّ عليهم السّلف فقالوا: (منه بدأ) أي بدأ من الله سبحانه وتعالى كلاماً له وليس خلقاً.

(**وإليه يعود**) ويرجع إليه كما جاء في الحديث: «أنّه في آخر الزّمان يرفع فلا يبقى في الأرض منه آية» (1).

قال: (وهو سور محكمات) متقنات، سور جمع سورة وهي قطعة من القرآن ، محكمات يعني متقنات، لا خلل ولا عيب فيهن، قال تعالى: {الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ}[هود: 1]، وقال: {وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ

(1) رواه ابن ماجه (4049) وغيره عن حذيفة بن اليمان بسند صحيح بلفظ : « ويُسري على كتاب الله عزوجل في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية» .

مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ}[محمد: 20] ، وقال: {فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ}[البقرة: 23]

(**وآيات بيّنات**) يعني واضحات، قال تعالى: {وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ}[الحج: 16]

(**وحروف وكلمات**) فهو سور وآيات وكلمات وحروف.

(**من قرأه فأعربه فله بكلّ حرف عشر حسنات**)[1]، ومن قرأه فأعربه؛ من قرأه قراءة صحيحة لا لحن فيها- هذا معنى فأعربه- فله بكلّ حرف عشر حسنات. دل هذا الحديث النبوي على أن القرآن حروف، ومعنى الحروف حروف الهجاء المعروفة التي تبدأ بالألف وتنتهي بالياء .

(**له أول وآخر**) أوله الفاتحة وآخره النَّاس، الإجماع منعقد عليه .

(**وأجزاء وأبعاض**) ثلاثون جزء، والبعض جزء من الكلّ.

(**متلوّ بالألسنة، محفوظ في الصّدور مسموع بالأذن مكتوب في الصّحف فيه محكم ومتشابه**) تقدّم معنا معنى المحكم والمتشابه، إذ وصف القرآن بأنّ منه من محكم ومنه متشابه، ومعنى ذلك أنَّ المحكم: هو الواضح الّذي لا خفاء فيه ولا إشكال، والمتشابه: الّذي يحتمل أكثر من معنى ويشكل على البعض.

(**وناسخ ومنسوخ**) القرآن منه ناسخ ومنه منسوخ (**وخاص وعام وأمر ونهي**) وهذا كلّه مفصَّل في كتب أصول الفقه.

قال تعالى: (**{لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه}**)[فصلت: 42]

---

(2) رواه التّرمذيّ(2910)، والطّبرانيّ في الأوسط (7574) وآخرون عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا وموقوفاً،الأكثرون رووه موقوفاً. قال التّرمذيّ: ويروى هذا الحديث من غير وجه عن ابن مسعود،رواه أبو الأحوص عن ابن مسعود، ورفعه بعضهم ووقفه بعضهم عن ابن مسعود....

أي لا يوجد قبله شيء يكذّبه، ولا بعده شيء يكذّبه، ولا يبطله شيء؛ لأنه حق من عند الله، ومحفوظ بحفظ الله له .

({تنزيل من حكيم حميد })[الإسراء: 88] الحكيم الحميد هو الله سبحانه وتعالى موصوف بالحكمة التي هي وضع الشيء في موضعه المناسب له، ومحمود على أفعاله وأقواله.

(وقوله تعالى: {لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً}، فقد تحدّاهم الله سبحانه وتعالى أن يأتوا بمثل هذا القرآن وهم الفصحاء، مع شدة عداوتهم وحرصهم على تكذيبه لم يستطيعوا أن يفعلوا ذلك) فتبيّن بذلك أنّه كلام الله تبارك وتعالى وليس كلام البشر.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (وهذا هو الكتاب العربيّ الّذي قال فيه الّذين كفروا : لن نؤمن بهذا القرآن)[سبأ: 31] عناداً واستكباراً .

قال: (وقال بعضهم) هو الوليد بن المغيرة، وهو من أشدِّ خصوم النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم **{إن هذا إلا قول بشر}[المدثر: 25]** وهل فارق الّذين قالوا بأن القرآن مخلوق قول الوليد بشيء يذكر؟ هذا الوليد بن المغيرة يقول: (**إن هذا إلا قول البشر**) مخلوق، قال الله له: {**سأصليه سقر**}[المدثر: 26] عقاباً على قوله هذا وتكذيبه بأن القرآن كلام الله من عنده، وليس من فعل البشر.

قال: (وقال بعضهم: هو شعر، فقال الله تعالى{وما علّمناه الشّعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين})[يس: 69] هذا تكذيب لهم؛ فهو كلام الله سبحانه وتعالى، وليس كلام البشر ولا هو شعر ولا غيره.

قال: (فلمَّا نفى الله عنه أنّه شعر وأثبته قرآناً، لم يبقَ شبهة لذي لبّ) أي لصاحب عقل (**في أنَّ القرآن هو هذا الكتاب العربي الّذي هو كلمات وحروف وآيات؛ لأنّ ما ليس كذلك لا يقول أحد أنّه شعر**).

إنَّ العرب قالت هو شعر عندما أرادت أن تكذّب بالقرآن؟ لأنّه كلمات وحروف وآيات، ولو لم يكن كلمات وحروف وآيات لما قالوا هو شعر، فلأنهم علموا أنه كلمات وحروف وآيات وهم أهل اللسان قالوا إنه شعر.

قال: وقال عزوجل{وإن كنتم}أيُّها الكفَّار**{في ريب}** أي في شك {**ممّا نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله**}«[البقرة: 23] أي إن كنتم في شك من هذا القرآن، وأنّه ليس من عند الله تبارك وتعالى، فأتوا بسورة واحدة فقط مثله، واستعينوا بمن شئتم من خلق الله؛ كي تأتوا بسورة واحدة، وانظر مع فصاحة العرب وقوتهم في اللّغة، ومع حرص الكثيرين منهم على تكذيب رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم، مع ذلك ما استطاع أحد منهم أن يأتي بسورة مثل سوره.

قال: (ولا يجوز أن يتحداهم بالإتيان بمثل ما لا يدرى ما هو ولا يعقل) كيف يتحداهم بأمر كهذا إلا أنّه معلوم عندهم أنّه كلمات وحروف معلومة وواضحة لهم، لذلك تحداهم أن يأتوا بمثله.

(وقال تعالى{وإذا تتلى عليهم آياتنا بيّنات قال الّذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدلّه قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي})[يونس: 15]، **فأثبت أنّ القرآن هو الآيات الّتي تتلى عليهم)**، ولا يتلى إلا ما هو حروف وكلمات.

قال: (وقال تعالى: {بل هو آيات بينات في صدور الّذين أوتوا العلم })[العنكبوت: 9]؛ فالقرآن محفوظ في صدورأهل العلم، والمحفوظ في صدورهم هي الكلمات والحروف؛ فهي الّتي تحفظ، فالقرآن كلمات وحروف.

قال: (وقال تعالى: {إنّه لقرآن كريم. في كتاب مكنون}) [الواقعة: 77-78]، (في كتاب) أي: مكتوب، فهو كلمات وحروف فهي الّتي تكتب، ومعلوم أنّ الكلمات والحروف هي الّتي تكتب .

قال: (وقال تعالى (كهيعص) [مريم: 1] (حم*عسق) [الشّورى: 1-2]) وهذه كلّها حروف.

قال: (وافتتح تسعاً وعشرين سورة بالحروف المقطعة) فهو حروف.

قال: (وقال النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم:«من قرأ القرآن فأعربه») أي قرأه بشكل صحيح (**«فله بكلّ حرف منه عشر حسنات، ومن قرأه ولحن فيه فله بكلّ حرف حسنّة» حديث صحيح)**. الشاهد أنه سمى حروفه حروفاً، فالقرآن حروف.

قال الإمام الألبانيّ رحمه الله تعالى في الضّعيفة تحت الحديث رقم (6584) : «وهذا غريب جداً» يستغرب تصحيح المؤلف، قال: «فإنّه لاأصل له بهذا اللّفظ مطلقاً في شيء من طرقه الّتي وقفنا عليها، وقد تقدّم تخريجها وبيان عللها، فكيف مع ذلك يصحّحه! [(1)]. انتهى، فالحديث ضعيف لا يصح، والله أعلم .

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (وقال عليه الصّلاة والسّلام: «اقرأوا القرآن قبل أن يأتي قوم يقيمون حروفه إقامة السّهم» أي يتقنون قراءته « **لا يجاوز تراقيهم»** التَّرْقُوَة: عظم وصل بين ثغرة النّحر والعاتق، « **يتعجلون أجره ولا**

(1) يروى عن ابن عمر بلفظ آخر، أخرجه ابن حيّان في الضّعفاء(160،3)، وابن الأنباريّ في إيضاح الوقف والابتداء (1/16/10) قال الشّيخ الألبانيّ : موضوع، ثُمَّ ذكر لفظ المؤلف وقال عقبة: هذا غريب جداً، فإنّه لا أصل له بهذا اللفظ مطلقاً في شيء من طرقه التّي وقضاعليها . . (الضّعيفة:6584).

يتأجلونه»[1] أي لا يصل لهم منه شيء عند الله سبحانه وتعالى، لأنهم يطلبون به الدنيا، فالمراد يتعجلون أجره في الدنيا، ويطلبون على قراءتهم أجرة من الأعراض الدنياوية، ولا يصبرون إلى الأجر والثواب الذي يحصل لهم في دار الآخرة.

قراءة القرآن وإتقان ذلك؛ وسيلة وعبادة، ولكن الغاية الكبرى منه هي الفهم والعمل لا مجرد القراءة؛ فإنّنا نجد اليوم كثيراً من النَّاس يحرصون على قراءة القرآن مع أحكام التّجويد بشكل جيد - وهذا طيب- ، لكن لا تجد منهم أدنى حرص على فهم معناه، وتطبيق ما فيه وهذا مشكل وخلل عظيم جداً؛ إذ قد أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن للعمل به لا لمجرد تلاوته.

الشّاهد من هذا الحديث قوله: «يقيمون حروفه» فسمّى الحروف الّتي في القرآن حروفاً؛ فهو حروف .

قال: (وقال أبو بكر وعمر رضي الله عنهما: إعراب القرآن أحبُّ إلينا من حفظ بعض حروفه[2]**)**، الشّاهد أنَّ أبا بكر وعمر سميا حروف القرآن حروفاً.

لكن هذا ضعيف لا يصحّ عنهما، أخرجه ابن الأنباريّ في الوقف والابتداء وهو ضعيف.

وقال علي رضي الله عنه: (من كفر بحرف منه فقد كفر به كلّه) هذا صحيح: من كفر بحرف منه، فقد كفر به كلّه، والإجماع منعقد – كما سيأتي – على ذلك؛ لكن لم أجده عن علي لغير المؤلف.

---

(2) رواه أحمد في مسنده(831) وأبو داود(831) والطّبرانيّ في الكبير (6024،6022،6021) وغيرهم عن سهل بن سعد رضي الله عنه.

(1) ايضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري (20/1)، رواه ابن عساكر في تاريخه بمسنده إلى الشّافعيّ (374/51).

والعلماء ينسبونه لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وهو صحيح عن عبد الله بن مسعود، أخرجه عبد الرّزاق[1] وغيره، أمّا أثر علي الّذي يصلح حجة في مثل هذا الموضع، فهو الّذي ساقه ابن خالة المؤلف عبد الغني المقدسيّ في كتابه الاقتصاد في الاعتقاد.

ولعلّ المؤلف أراد هذا لكنّه وهم.

قال: عن علي أنّه سئل عن الجنب يقرأ القرآن فقال: «لا ولا حرفاً»[2] أي لا تقرأ ولا حرفاً واحداً.

هذا علي يسمي حروف القرآن حروفاً، وأمَّا عبد الله بن مسعود فصحَّ عنه قوله: «من كفر بحرف منه فقد كفر به كلّه» فصح عن الصحابة تسمية حروفه حروفاً.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (واتفق المسلمون على عدّ سور القرآن، وآياته، وكلماته وحروفه) ذكر الأدلة من الكتاب والسنة وعن الصحابة على أن القرآن كلمات وحروف، ثم يذكر الآن الاتفاق، فقال: هم متفقون على هذا: أنّهم يقولون: عدد سور القرآن كذا، وعدد آيات القرآن كذا، وعدد كلّمات القرآن كذا، وعدد حروفه كذا، فهو سور وآيات وكلمات وحروف .

قال: (ولا خلاف بين المسلمين في أنّ من جحد سورة أو آية أو كلمة أو حرفاً متفقاً عليه، أنّه كافر، وفي هذا حجة قاطعة على أنّه حروف) وفيه حجة قاطعة على كفر الرّافضة.

---

(2) المصنّف (15946)

(3) ص145 قال: وروى أبو عبيد وأي القاسم بن سلام – في فضائل القرآن بإسناده وقال : سئل علي. . .

متن

فصل رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (والمؤمنون يرون ربهم في الآخرة بأبصارهم، ويزورونه، ويكلّمهم ويكلّمونه، قال الله تعالى: {وجوه يومئذٍ ناضرة*إلى ربها ناظرة}[القيامة: 22-23]، وقال تعالى: {كلا إنّهم عن ربهم يومئذٍ لمحجوبون}[المطففين: 15].

فلما حجب أولئك في حال السخط دل على أن المؤمنين يرونه في حال الرضى، وإلا لم يكن بينهما فرق، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته» حديث صحيح متفق عليه.
وهذا تشبيه للرؤية بالرؤية، لا للمرئي بالمرئي، فإن الله تعالى لا شبيه له ولا نظير.

الشرح
هذه صفة جديدة وهي: رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، يؤمن أهل السّنة بأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة بأعينهم رؤية حقيقية، ويعتقدون ذلك بناءً على ما صحّ في الكتاب والسّنّة، من أدلة -كما سيأتي إن شاء الله تعالى- من كلام المصنف.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (والمؤمنون يرون ربهم في الآخرة بأبصارهم)، هذا تأكيد على أنّها رؤية حقيقية، يرون الله سبحانه وتعالى، لا يرون الثّواب، ولا يرون النَّعيم، ولا يرون الجنَّة، كما يقول أهل التحريف للنصوص، ومستعملو عقولهم، في تفسير النصوص الواردة في رؤية المؤمنين لربهم، بل يرون ربَّهم تبارك وتعالى رؤية حقيقة.

(**بأبصارهم)** قاله المؤلف ردّاً لقول الّذين يقولون بأنَّ المؤمنين يرون ربهم بقلوبهم، فردّ عليهم بهذه الكلمة الصّريحة بأنَّ الرّؤية رؤية حقيقية بأبصارهم لا بقلوبهم.

قال: **(ويزورونه)** ذكرنا أنَّ الحديث الواردّ في ذلك ضعيف.

(يكلّمهم ويكلّمونه) ورد في ذلك أحاديث صحيحة تقدمت معنا.

قال: (قال الله تعالى: { وجوه يومئذٍ ناضرة}) من النُّضرة وهي الحسن والبهجة، وجوه حسنّة بهجة، وهذه وجوه المؤمنين يوم القيامة حسنّة وجميلة ومسرورة ومشرقة بالنَّعيم.

(وجوه يومئذٍ) أي يوم القيامة (ناضرة) حسنّة جميلة (إلى ربها ناظرة) أي ينظرون إلى الله سبحانه وتعالى، وهذه من النِّعم العظيمة الّتي يحصل عليها أهل الإيمان، الّتي ينالها أهل الطّاعة يوم القيامة، النَّظرإلى وجه الله تبارك وتعالى، أي

لذة أعظم وأجود وأجمل من هذه؟.
هذا الدليل الأول لأهل السنة على هذه العقيدة .

قال: (وقال تعالى: {كلّا إنّهم عن ربهم يومئذٍ لمحجوبون})، من هم؟ الكفَّار، يحجبون عن رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة؛ عقاباً لهم على كفرهم، فهذا يدلُّ على أنَّ المؤمنين يرون ربهم، فكما قال المصنف رحمه الله تعالى هنا: (**فلمَّا حجب أولئك في حال السّخط؛ دلَّ ذلك على أنَّ المؤمنين يرونه في حال الرّضى؛ وإلا لم يكن بينهما فرق)** فلمَّا عاقب الكفَّار بحجبهم عن رؤيته تبارك وتعالى، دلّ ذلك على أنّه يثيب المؤمنين بإنعامه عليهم برؤيته حقيقة يوم القيامة، هذا استدلال الإمام الشافعي رحمه الله .

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (وقال النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم: إنّكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تُضامُّون في رؤيته) هذا الحديث متفق عليه[1]، أحاديث الرّؤية يقول أهل العلم: أحاديثها متواترة، كثيرة جداً، وردت عن النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم؛ فلا ينكرها سنّي، لا ينكرها إلا مبتدع ضال.

(إنّكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامّون في رؤيته) أي لا تحتاجون لكي يراه جميعكم أن تنضم بعضكم إلى بعض وتتزاحموا لرؤيته، لا تحتاجون إلى ذلك، سترونه بأريحيّة كلّ واحد من مكانه الّذي هو فيه.

(كما ترون القمر) كيف نشترك جميعاً في رؤية القمر بدون مضامّة ولا مزاحمة؟ كذلك ترون الله تبارك وتعالى.

---

(1) أخرجه البخاري(7434،4851،554، 7436)، ومسلم(633) من حديث جرير بن عبدالله البجليّ رضيّ الله عنه، وقد ثبت حديث رؤية الله تعالى عن غير واحد من الصّحابة أبي هريرة وأبي سعيد، وأحاديث الرّؤية من الأحاديث المتواترة عند أهل العلم، ومن هنا اضطر الأشاعرة إلى إثبات الرّؤية يوم القيامة مع نفيّهم العلوّ فتخبّطوا تخبّطاً كبيراً.

قال: (وهذا تشبيه للرؤيا بالرّؤيا) أي أنّكم كما ترون القمر ترون الله سبحانه وتعالى.

(لا للمرئي بالمرئي) المرئي الأول الله تبارك وتعالى والمرئي الثاني القمر، أي ليس المقصود من التشبيه هنا ؛ تشبيه الله بالقمر، لا.

بل المقصود تشبيه الرّؤية بالرّؤية، فكما أن رؤية القمر لا تحتاج إلى مزاحمة كذلك رؤية الله لا تحتاج إلى ذلك، هذا المقصود.

قال: (**فإنَّ الله تعالى لا شبيه له ولا نظير)** لا مثيل له سبحانه، ففي هذا الحديث يبين كيفيّة الرّؤية، ولا يشبّه نفسه بالقمر؛ فالله لا مثل له.

وقد خالف في هذه العقيدة المعتزلة، نفوا الرّؤية، وقالوا: لا يرى النَّاس ربهم يوم القيامة، ونفوا ذلك، قالوا هذا يلزم منه التّشبيه، ويلزم منه التّجسيم، وهي لوازم باطلة كما تقدم معنا، فكما قالوا في مسائل الصّفات الأُخرى قالوا أيضاً في هذه، من أنَّ إثبات الرّؤية يلزم منه التّشبيه والتّجسيم ويلزم منه أنّ الله في جهة مخلوقة، وهذا كلّه من الباطل ، جاءوا به من خيالات عقولهم؛ فردّوا كتاب الله، وردّوا سنّة رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم، بمجرد خيالات عقلية، ظنُّوها لوازم حقيقية، وإنّما هي لوازم باطلة.

واستدلّوا أيضاً بقول الله تبارك وتعالى**{ لا تدركه الأبصار}**[الأنعام: 103] فقال لهم أهل العلم: الإدراك شيء والرّؤية شي آخر، الإدراك فيه إحاطة، والإحاطة هذه مستحيلة، لا يمكن أن يحيط العبد بربه تبارك وتعالى، أمَّا الرّؤية فالرّؤية ثابتة كما تقدَّم معنا في الأدلّة.

واستدلّوا أيضاً بقول الله تبارك وتعالى لموسى عليه السّلام عندما طلب من ربه أن يراه قال: {**لن تراني**}[الأعراف: 143]، فقالوا: قد نفى الله سبحانه وتعالى الرؤية في هذه الآية، فنقول لهم: هذا نفي للرؤية في الدّنيا، فموسى عليه السّلام عندما طلب الرّؤية طلبها وهو في الدّنيا لا في الآخرة، فرق بين هذا وهذا.

الرؤية الّتي نثبتها رؤية أخرويّة أي في الآخرة، فنصوص الشرع فرقت بين رؤية الله في الدنيا ورؤيته في الآخرة؛ فلا يصح إعطاءهما حكماً واحداً، بعد تفريق النصوص الشرعية بينهما .

هذا ما يتعلق برؤية الله سبحانه وتعالى.

متن

فصل القضاء والقدر

ومن صفات الله تعالى أنه الفعال لما يريد، لا يكون شيء إلا بإرادته، ولا يخرج شيء عن مشيئته، وليس في العالم شيء يخرج عن تقديره، ولا يصدر إلا عن تدبيره، ولا مَحيد عن القدر المقدور، ولا يُتجاوز ما خُط في اللوح المسطور، أراد ما العالم فاعلوه، ولو عصمهم لما خالفوه، ولو شاء أن يطيعوه جميعاً لأطاعوه، خلق الخلق وأفعالهم، وقدر أرزاقهم وآجالهم، يهدي من يشاء برحمته، ويضل من يشاء بحكمته.

قال تعالى: {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ} [الأنبياء: 23] قال الله تعالى: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} [القمر: 49] وقال تعالى: {وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا} [الفرقان: 2] وقال تعالى: {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا} [الحديد: 22] وقال تعالى: {فَمَنْ يُرِدِ الله أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا} [الأنعام: 125].

روى ابن عمر رضي الله عنهما أن جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم: «ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره. فقال جبريل: صدقت» رواه مسلم.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «آمنت بالقدر خيره وشره وحلوه ومره».

ومن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم الذي علمه الحسن بن علي يدعو به في قنوت الوتر: «وقني شر ما قضيت».

ولا نجعل قضاء الله وقدره حجةً لنا في ترك أوامره واجتناب نواهيه، بل يجب أن نؤمن، ونعلم أن لله علينا الحجة بإنزال الكتب وبعثة الرسل.

قال الله تعالى: {لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى الله حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ} [النساء: 165] ونعلم أن الله سبحانه ما أمر ونهى إلا المستطيع للفعل والترك، وأنه لم يَجبُر أحداً على معصية، ولا اضطره إلى ترك طاعة، قال الله تعالى: {لَا يُكَلِّفُ الله نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} [البقرة: 286] وقال الله تعالى: {فَاتَّقُوا الله مَا اسْتَطَعْتُمْ} [التغابن: 16] وقال تعالى: {الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ} [غافر: 17] فدل على أن للعبد فعلا وكسبا يُجزى على حسنه بالثواب، وعلى سيئه بالعقاب، وهو واقع بقضاء الله وقدره.

الشرح

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (ومن صفات الله تعالى أنه الفعال لما يريد، لا يكون شيء إلا بإرادته، ولا يخرج شيء عن مشيئته، وليس في العالم شيء يخرج عن تقديره، ولا يصدر إلا عن تدبيره، ولا محيد عن القدر المقدور، ولا يتجاوز ما خط في اللوح المسطور، أراد ما العالم فاعلوه، ولو عصمهم لما خالفوه، ولو شاء أن يطيعوه جميعاً لأطاعوه، خلق الخلق وأفعالهم، وقدر أرزاقهم وآجالهم، يهدي من يشاء برحمته، ويضل من يشاء بحكمته، قال الله تعالى: {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ} [الأنبياء: 23] قال الله تعالى: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} [القمر: 49] وقال تعالى: {وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا} [الفرقان: 2] وقال الله تعالى: {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا} [الحديد: 22] وقال تعالى: {فَمَنْ يُرِدِ الله أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا} [الأنعام: 125]).

هذه مسألة جديدة ، انتهينا من مسائل الأسماء والصّفات، الآن دخلنا في مسألة جديدة من مسائل الإيمان وهي: مسألة الإيمان بالقضاء والقدر.

والإيمان بالقدر من أصول الإيمان السّتة الّتي ذكرت في حديث جبريل عليه السّلام[1]، قال في آخره: «وأن تؤمن بالقدر خيره وشره»؛ فالإيمان بالقدر من أصول الإيمان.

والقدر هو تقدير الله تعالى للأشياء في القدم، وعلمه تبارك وتعالى أنّها ستقع في أوقات معلومة عنده، وعلى صفات مخصوصة، وكتابته لذلك، ومشيئته له،

(1) متفق عليه: البخاري(4778050) ، مسلم (10،9) عن أبي هريرة رضيّ الله عنه، ومسلم(8) عن ابن عمر رضيّ الله عنه.

ووقوعها على حسب ما قدّرها، وخلقه لها، هذه مسألة القضاء والقدر باختصار هي أربع مراتب، من آمن بها آمن بالقدر.

- **المرتبةالأولى**: الإيمان بأنَّ الله عزوجل عالم بكلّ ما يكون جملة وتفصيلاً، بعلم سابق: **{ألم تعلم أنّ الله يعلم ما في السّماء والأرض إنَّ ذلك في كتاب إنَّ ذلك على الله يسير}**[الحج: 70].

- **المرتبة الثّانية**: أنَّ الله عزوجل كتب في اللّوح المحفوظ مقادير كلّ شيء، قال سبحانه وتعالى: **{ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها}**[الحديد: 22] أي: من قبل أن نخلقها.

- **المرتبة الثّالثة**: لا يكون شيء في السّماوات والأرض إلا بإرادة الله، ومشيئته الدّائرة بين الرّحمة والحكمة؛ فيهدي من يشاء برحمته، ويضلُّ من يشاء بحكمته، ولا يُسأل عمَّا يفعل والنَّاس يُسألون، قال الله سبحانه وتعالى {**إنَّا كلّ شيء خلقناه بقدر**}[القمر: 46]وقال أيضاً: {**فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضلَّه يجعل صدره ضيّقاً حرجاً كأنّما يصَّعد في السّماء**}[الأنعام: 125]، فأثبت سبحانه وقوع الهداية والضّلالة بإرادته، فلا يكون شيء في هذا الكون إلا بإرادته سبحانه وتعالى.

- **المرتبة الرّابعة**: أنَّ كلّ شيء في السّماوات والأرض مخلوق لله تبارك وتعالى، لا خالق غيره، فكلّ ما هو على وجه هذه الأرض من المخلوقات وكلّ ما هو موجود من المخلوقات، فالله سبحانه وتعالى هو الّذي خلقه، قال سبحانه وتعالى: {**وخلق كلّ شيء فقدره تقديراً**}[الفرقان: 2]، وقال: **{ والله خلقكم وما تعملون}**[الصّافات: 96]، وقال: {**الله خالق كلّ شيء**}[الزّمر: 62]، فالله سبحانه وتعالى هو الخالق لكلّ شيء، ومن هذه الأشياء أفعال العباد، خلافاً لفرقة من الّذين خالفوا أهل السّنّة والجماعة في هذه المسألة؛ أخرجوا أفعال العباد من خلق الله

تبارك وتعالى، وهذا ضلال كبير، فقد أثبتوا بذلك وجود خالق مع الله تبارك وتعالى، والله سبحانه وتعالى– كما تقدّم معنا في الآيات السابقة – يبيّن أنّه هو الخالق لكلّ شيء.

قال الإمام البخاري في كتابه خلق أفعال العباد: سَمِعْتُ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ سَعِيدٍ يَقُولُ: سمعت يَحْيَى بْنَ سَعِيدٍ يَقُولُ: مَا زِلْتُ أَسْمَعُ مِنْ أَصْحَابِنَا يَقُولُونَ: «إِنَّ أَفْعَالَ الْعِبَادِ مَخْلُوقَةٌ» قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ- البخاري- : « حَرَكَاتُهُمْ وَأَصْوَاتُهُمْ وَاكْتِسَابُهُمْ وَكِتَابَتُهُمْ مَخْلُوقَةٌ، فَأَمَّا الْقُرْآنُ الْمَتْلُوُّ الْمُبَيَّنُ الْمُثَبَّتُ فِي الْمُصْحَفِ الْمَسْطُورُ الْمَكْتُوبُ الْمُوعَى فِي الْقُلُوبِ فَهُوَ كَلَامُ اللَّهِ لَيْسَ بِخَلْقٍ، قَالَ اللَّهُ: {بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ}» [العنكبوت:49]. انتهى

هذه هي المراتب الأربعة من آمن بها آمن بالقدر، والأدلّة عليها من الكتاب والسّنّة كثيرة، وكثيرة جداً، ذكرنا بعضاً منها.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (ولا نجعل قضاء الله وقدره، حجة لنا في ترك أوامره، واجتناب نواهيه، بل يجب أن نؤمن ونعلم أنَّ لله علينا الحجة بإنزال الكتب وبعثة الرّسل، قال الله تعالى: { لئلا يكون للنَّاس على الله حجة بعد الرّسل})[النِّساء: 165]

فبإرسال الرّسل تنقطع الحجة، والعبد مخير في فعل الطّاعات والمعاصي، وهو أيضاً مأمور بأن يطيع الله سبحانه وتعالى ومنهيّ عن معصية الله تبارك وتعالى، وما كان الله سبحانه وتعالى معذّباً أحداً حتّى يقيم الحجة عليه. فليس لك أن تحتج على المعصية بالقدر؛ لأن الله تبارك وتعالى أعطاك قدرة وإرادة وبين لك طريق الحق وأمرك باتباعه، وعندك قدرة على الاختيار فلم تكره عليها؛ فواجبك أن تختار طريق الحق وتترك طريق الباطل .

يصح الاحتجاج بالقدر على المصائب التي تقع ولا اختيار لك فيها، تقول قدر الله وما شاء فعل، وتعلم أن لا اختيار لك فيها، فتصبر على ما أصابك، وتُصبِّر نفسك بالإيمان بالقدر.

قال رحمه الله تعالى: (ونعلم أنَّ الله سبحانه وتعالى ما أمر ونهى إلا المستطيع للفعل والتّرك، وأنّه لم يجبر أحداً على معصية، ولا اضطره إلى ترك معصية، قال الله تعالى: { لا يكلّف الله نفساً إلا وسعها}[البقرة: 286]، وقال الله تعالى:{ فاتقوا الله ما استطعتم}[التّغابن: 16]، وقال تعالى: {اليوم تجزى كلّ نفس بما كسبت لا ظلم اليوم }[غافر: 17]، فدلّ على أنّ للعبد فعلاً وكسباً يُجزَى على حسنه بالثّواب، وعلى سيئه بالعقاب، وهو واقع بقضاء الله وقدره).

فيجتمع الأمران، العبد هو الّذي يفعل حقيقة، العبد هو الفاعل لفعله حقيقة والله سبحانه وتعالى هو الّذي خلق العبد وخلق فعله أيضاً، لكن الله سبحانه وتعالى لم يضطره إلى ترك طاعة ولا جبره على فعل معصية، ولا يكون هذا من ربِّ العالمين تبارك وتعالى، مع أنّه هو خالق أفعال العباد، لكن العباد أيضاً يفعلون بمشيئتهم وإرادتهم؛ كما قال الله تبارك وتعالى: {**وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين**}[التّكوير: 29] فأثبت لهم مشيئة، هم يشاؤون يريدون، لكن لا تخرج مشيئتهم عن مشيئة الله تبارك وتعالى، يعني أنَّ الله سبحانه وتعالى إذا شاء شيئاً، وهم شاؤوا شيئاً آخر يخالف مشيئة الله، لا يكون هذا الشّيء أبداً، لكن الله سبحانه وتعالى في نفس الوقت لا يجبر الإنسان على فعل المعصية وهو لا يريد أن يعصي، ولا يجبره على الطّاعة وهو يريد أن يعصي.

هذا كلّه يجب أن يكون معلوماً عندنا، فلا متعلق لأي أحد بمسألة القضاء والقدر، فكلّ منّا يدرك الفرق بين الأشياء الّتي يفعلها باختياره، والأشياء الّتي يضطر إليها

اضطراراً، فالأشياء الّتي تضطر إليها اضطراراً لا يحاسبك عليها ربنا سبحانه وتعالى، ولا يؤاخذك عليها، لكن الأشياء الّتي تفعلها باختيارك تحاسب عليها، فعندك فرق ما بين الأفعال الّتي تفعلها مضطراً إليها، والأفعال الّتي تفعلها باختيارك، فأنت تفعل باختيارك ومشيئتك.

عندما يشرب الشّخص الخمر يشربها بإرادته واختياره، ولذلك يعذّب عليها، بينما لو وقع في بركة بها خمر وشرب من غير اختياره لا يعذب على ذلك؛ لأنه شربها بغير اختياره .

فنعلم أن الله كلف من العباد المستطيع على الفعل، ولم يكلف غير المستطيع، وكلف العاقل ولم يكلف المجنون؛ لأن العاقل له اختيار والمجنون لا عبرة باختياره .

فيدلّ هذا على أنّ للعبد فعلاً وكسباً يثاب ويعاقب بناء عليه، وهو واقع بقضاء الله وقدره .

بقي تنبيه أخير وهو: أنَّ إرادة الله إرادتان: **إرادة كونيّة، وإرادة شرعيّة**.

الإرادة الكونيّة: وهي الّتي تأتي بمعنى المشيئة: {**فمن يردّ الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يردّ أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصَّعد في السّماء**}[الأنعام: 125] هذه الإرادة بمعنى المشيئة، والله سبحانه وتعالى إذا أراد شيئاً فإنّما يقول له كن فيكون، هذه هي الإرادة الكونيّة، كلّ ما يحصل في هذا الكون فقد أراده الله كوناً، سواء كان معصية أو طاعة، سواء كان يحبه أو يكرهه، ومثاله الّذي يمثل به العلماء كثيراً كفر أبي لهب، أراده الله كوناً فوقع .

والإرادة الشّرعيّة: وهي الّتي بمعنى المحبة، كما قال تبارك وتعالى في كتابه الكريم: **{ والله يريد أن يتوب عليكم}**[النِّساء: 27]، هذه إرادة شرعيّة.

كلّ ما أمرنا الله تبارك وتعالى بفعلها في الكتاب أو في السّنّة، فإنَّ الله سبحانه وتعالى يريده إرادة شرعيّة فهو يحبه ويرضاه.

علماً أنه ربما يحصل وربما لا يحصل في الكون، ربما يوجد وربما لا يوجد.

مثلاً أراد الله من العباد جميعاً أن يؤمنوا، هل آمنوا جميعاً؟ لا، آمن البعض وكفر البعض، فهذا الإيمان يحبّه الله ويرضاه من الناس، ولكنّه ربما يقع وربما لا يقع، فوقع مثلاً من أبي بكر ، ولم يقع من أبي لهب .

بينما الإرادة الكونيّة لا بد أن تقع، ولكنّها تكون فيما يحبّه الله وفيما لا يحبه الله.

هذا الفرق بين الإرادتين.

هذا ما يتعلق بمسألة القضاء والقدر، ولا يحتاج العبد أن يتوسع في هذه المسألة كثيراً، يتوقف فقط عند أدلّة الكتاب والسّنّة.

وبقي شيء أخير في هذا المبحث أود أن نتحدث عنه وهو أنَّه قد خالف أهل السّنّة في مسألة القضاء والقدر فرقتان، وهما: الجبريّة والقدريّة.

الجبريّة: هم الّذين يقولون بأنّ العبد مجبور على أفعاله لا اختيار له ، نعوذ بالله من قولهم، وقد تقدّم الرّدّ عليهم فيما قرّرناه.

والقدريّة، الّذين يقولون بأنّ العبد مستقل بعمله، هو الّذي يوجد عمله، والله سبحانه وتعالى لم يخلق أفعال العباد، وهذه الطّائفة أيضاً ضلّت عن طريق الهداية، وأثبتوا خالقاً مع الله، والله سبحانه وتعالى يقول{**الله خالق كلّ شيء**}[الزّمر: 62]، {**والله خلقكم وما تعملون**}[الصّافات: 96]، هذه الآيات واضحة في الرّدّ على هذه العقيدة الفاسدة.

متن

فصل

والإيمان قول باللسان، وعمل بالأركان، وعقد بالجَنان، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان.

قال الله تعالى: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا الله مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ} [البينة: 5] فجعل عبادة الله وإخلاص القلب وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة كله من الدين.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق».

فجعل القول والعمل من الإيمان.

وقال تعالى: {فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا} [التوبة: 124] وقال: {لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا} [الفتح: 4] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه مثقال برة، أو خردلة، أو ذرة من الإيمان» فجعله متفاضلاً.

الشرح

الإيمان قول وعمل تفسير شرعيٌّ للإيمان، بينما في اللّغة هوالتّصديق، وقال بعض أهل العلم: هوالإقرار.

فالإيمان في الشّرع أعمّ من الإيمان في اللّغة، الإيمان في اللّغة هو التّصديق، لكن في الشّرع أعمّ من ذلك: قول باللّسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح والأركان. هذا هو الإيمان في الشّرع.

دلّت على ذلك أدلّة الكتاب والسّنّة، الأدلة الشرعية تدلّ على أنَّ الإيمان يكون من هذه الأركان الثّلاثة: القول، والاعتقاد، والعمل، لا القول وحده، ولا العمل وحده، ولا الاعتقاد وحده، بل هذه الثلاثة هي الإيمان في الشرع .

قال رحمه الله تعالى: (والإيمان قول باللّسان، وعمل بالأركان، وعقد بالجنان، يزيد بالطّاعة وينقص بالعصيان)

كلّ جملة من هذه الجمل عليها دليل.

الإيمان قول باللّسان: لا يكون العبد مؤمناً حتّى يقول بلسانه كلمة التوحيد: لا إله إلا الله محمد رسول الله، هذا الأمرالأول.

وعمل بالأركان: عمل بالجوارح، المقصود بالأركان هنا الجوارح كالأيدي والأقدام، فالصلاة من الإيمان والصيام والزكاة والحج والهجرة والجهاد ...

وعقد بالجنان: أي اعتقاد قلبي منه التصديق وأعمال القلوب.

فدخلت جميع العبادات القولية والاعتقادية واللسانية في ذلك.

يعرف بهذا أن الاعتقاد القلبي وحده لا يكفي، والقول اللّساني وحده لا يكفي، والعمل بالجوارح وحده لا يكفي، حتّى تجتمع هذه الثّلاثة كي يكون العبد مؤمناً، لا يجزئ واحد من الثلاثة إلا بالآخر.

ويزيد بالطّاعات: العبادات المختلفة كلها تزيد الإيمان، ومنها الصلاة والصيام والزكاة والحجّ وغيرها، كلّما زادت زاد إيمان العبد وزادت طاعته، وكلّما نقصت نقص على حسب العمل، و إذا كان العمل واجباً نقص إيمانه الواجب، وإذا كان مستحبّاً نقص إيمانه المستحب؛ الكمال المستحب.

قال الله تعالى{ **وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدّين حنفاء ويقيموا الصّلاة ويؤتوا الزّكاة وذلك دين القيّمة**}[البينة: 5]، هذا الدّين القيّم المستقيم الّذي لا اعوجاج فيه.

(يعبدوا الله مخلصين له الدّين) الإخلاص (عمل قلبيّ).

(حنفاء) مائلون عن الشّرك، إلى التوحيد.

(ويقيموا الصّلاة ويؤتوا الزّكاة) هذا الشّاهد من الأمر: أنّه أدخل الصّلاة وأدخل الزّكاة في الدّين الّذي هو الإيمان، ودين الله سبحانه وتعالى دين الإسلام الّذي هو الإيمان.

فهذه الآية فيها دليل على أن الإخلاص وهو قلبي، والصلاة والزكاة وهما عمل جوارح من الإيمان .

قال: (فجعل عبادة الله تعالى، وإخلاص القلب، وإيقام الصلاة، وإيتاء الزّكاة؛ كلّه من الدّين. وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم: «الإيمان بضع وسبعون شعبة،

أعلاها شهادة أن لا اله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطّريق»[1] فجعل القول والعمل من الإيمان)

و«الحياء شعبة من الإيمان» لم يذكرها المؤلف هنا، وهي من تتمة الحديث « والحياء شعبة من الإيمان»، فذكر أمراً قلبيّاً، وذكر عملاً من أعمال الجوارح، وذكر أيضاً النُّطق بالشّهادة القول اللساني، فهذه الثّلاثة جعلها أجزاءً للإيمان، فقال: «الإيمان بضع وسبعون شعبة»، إذن هذه كلّها داخلة في الإيمان، والإيمان شعب وأجزاء، الحديث صريح في الدلالة على ذلك .

قال: (وقال تعالى{ فزادتهم إيماناً}[التّوبة: 124] وقال: {ليزدادوا إيماناً}[الفتح: 4] وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم: « يخرج من النَّار من قال: لا إله إلا الله، وفي قلبه مثقال برّة، أو خردلة، أو ذرّة من إيمان»[2] فجعله متفاضلاً)

({فزادتهم إيماناً }{ليزدادوا إيماناً}) هذه الآيات تدل على زيادة الإيمان، وهي صريحة بذلك، المؤلف يقرر بها أن الإيمان يزيد وينقص وهذا مجمع عليه عند أهل السنة وهي عقيدتهم، وهذه الأدلة على ذلك.

(يخرج من النَّار من قال: لا إله إلا الله، وفي قلبه مثقال بُرّة، أو خَردَلة، أو ذَرّة من إيمان) هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم، وقد جعل الإيمان متفاوتاً بعضه أكبر من بعض، ويتناقص الإيمان إلى أن يصل إلى هذه الدّرجة، فالإيمان يزيد وينقص.

---

(1) متفق عليه: البخاري (9) ، ومسلم(35) عن أبي هريرة رضيّ الله عنه.

1 متفق عليه: البخاري (44،7410)، مسلم (193)لا عن أنس بن مالك رضيّ الله عنه.

قال: (فجعله متفاضلاً) بعضه بقدرالبرّة ، أي بقدر وزن القمحة، وبعضه بقدر الخردلة، والخردل نبت صغير الحب، وبعضه بقدر الذرة، أي بقدر وزن النملة الصغيرة، وكلّ واحدة منها وزنها أكبر من الأُخرى، ففي هذا رد على الذين يقولون الإيمان شيء واحد لا يتفاضل، ولا يزيد وينقص، وهو في القلب فقط، وهم المرجئة .

فالإيمان هو هذا الّذي تقرر عندنا في الشّرع وهو: قول باللّسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح والأركان.

أعمال الجوارح كلّها من الإيمان، لكن إذا زال بعضها لا يزول الإيمان بالكلّية، لكن إذا زال العمل بالكلّية، زال ركن من الأركان الثّلاثة وهي: (قول اللّسان، واعتقاد القلب ، وعمل الجوارح).

فإذا ذهب عمل الجوارح بالكامل زال ركن وذهب الإيمان، وإذا زال القول زال ركن وذهب الإيمان، إذا زال الاعتقاد زال ركن وذهب الإيمان، فالإيمان لا يتحقق إلا بهذه الأركان الثّلاثة.

أمّا آحاد العمل كالزّكاة مثلاً والصّيام والحج، فإذا زال الحج عند المؤمن، لم يحج يبقى مؤمناً، ولكنّه نقص إيمانه الواجب، حصل عنده نقص في الإيمان الواجب وهذا مستحق للعقاب عند الله تبارك وتعالى.

وأما الصّلاة فحصل فيها خلاف بين أهل العلم، والرّاجح في ذلك أنّ من ترك الصّلاة بالكلّية ذهب إيمانه ولم يعد مؤمناً، بل هو كافر خارج من ملة الإسلام .

قول النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم: « العهد الّذي بيننا وبينهم الصّلاة فمن تركها فقد كفر»[1]، وقوله: « بين العبد وبين الكفر أوالشّرك الصّلاة»[2]، دليل على ذلك، مع فهم الصحابة .

إذن لا يفصل العبد عن الكفر أوالشّرك إلا الصّلاة، فمن تركها فقد دخل في الكفر أوالشّرك على مقتضى ما قال النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم، فالحذر الحذر من التّهاون في أمر الصّلاة، فأمرها عظيم ، وأول ما يحاسب به العبد يوم القيامة هي الصّلاة.

لكن كون الإيمان لا يصح إلا بعمل الجوارح غير مرتبط بهذه المسألة، فحتى الذين لا يقولون بكفر تارك الصلاة من أهل السنة، يقولون إذا لم يوجد عمل الجوارح مطلقاً لا بعمل واحد ولا بأكثر لا يكون العبد مؤمناً، لأنه لم يُوجِد الأركان الثلاثة للإيمان، يكون فقط أوجد القول والاعتقاد، وهذا لا يكفي عند أهل السنة، ومنهم الشافعي الذي لا يكفر تارك الصلاة، وهو الذي نقل اتفاق أهل السنة عليه .

خالف أهل السنة في هذه العقيدة الخوارج والمرجئة .

الخوارج كفروا المسلمين بالكبيرة، ومنهم اليوم داعش وجماعة القاعدة ، النبي صلى الله عليه وسلم بين علامتهم، فقال: «يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان».

وذلك عن طريق تكفيرهم بالكبائر، بل و ربما يكفرونهم بما يظنونه ذنباً وليس كذلك، وقد حذر منهم النبي صلى الله عليه وسلم، حتى لو رأينا منهم عبادات وطاعات نحتقر أعمالنا أمامها لا نغتر بذلك، هذا ما تعلمناه من نبينا صلى الله عليه وسلم؛ فعقيدتهم فاسدة وشرهم على المسلمين كبيرة ، لذلك أمر النبي صلى الله عليه

1 رواه أحمد (22937،2007) والتّرمذي (2621) وابن ماجه (1079) وغيرهم عن بريدة الأسلميّ رضيّ الله عنه.

2 رواه مسلم (82) عن جابر بن عبدالله رضيّ الله عنهما.

وسلم بقتلهم .

والفرق الثانية المرجئة، وهؤلاء اتفقوا جميعاً على أن أعمال الجوارح ليست من الإيمان، فبعضهم قال : الإيمان قول فقط، وبعضهم قال: الإيمان قول واعتقاد فقط ، ولهم أقوال أخرى ، ولكن اجتمعت جميعها على أن أعمال الجوارح ليست من الإيمان.

متن

الإيمان بكل ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم

ويجب الإيمان بكل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم وصح به النقل عنه فيما شاهدناه، أو غاب عنا، نعلم أنه حق وصدق، وسواء في ذلك ما عقلناه وجهلناه، ولم نطلع على حقيقة معناه.

مثل: حديث الإسراء والمعراج، وكان يقظة لا مناماً؛ فإن قريشاً أنكرته وأكبرته، ولم تنكر المنامات.

ومن ذلك: أن ملك الموت لما جاء إلى موسى عليه السلام ليقبض روحه لطمه ففقأ عينه، فرجع إلى ربه فرد عليه عينه.

ومن ذلك: أشراط الساعة، مثل: خروج الدجال، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام فيقتله، وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج الدابة، وطلوع الشمس من مغربها، وأشباه ذلك مما صح به النقل.

وعذاب القبر ونعيمه حق، وقد استعاذ النبي صلى الله عليه وسلم منه، وأمر به في كل صلاة.

وفتنة القبر حق، وسؤال منكر ونكير حق.

والبعث بعد الموت حق، وذلك حين ينفخ إسرافيل عليه السلام في الصور {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ} [يس: 51].

ويحشر الناس يوم القيامة حفاةً، عراةً، غرلاً، بهما، فيقفون في موقف القيامة حتى يشفع فيهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ويحاسبهم الله تبارك وتعالى، وتنصب الموازين، وتنشر الدواوين، وتتطاير صحائف الأعمال إلى الأيمان والشمائل {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ - فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا - وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا - وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ - فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا- وَيَصْلَى سَعِيرًا } [الانشقاق: 7 - 12].

والميزان له كفتان ولسان توزن به الأعمال {فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ - وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ} [المؤمنون: 102 - 103].

ولنبينا محمد صلى الله عليه وسلم حوض في القيامة، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وأباريقه عدد نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً.

والصراط حق يجوزه الأبرار، ويزل عنه الفجار.

ويشفع نبينا صلى الله عليه وسلم فيمن دخل النار من أمته من أهل الكبائر، فيخرجون بشفاعته بعدما احترقوا وصاروا فحماً وحمماً، فيدخلون الجنة بشفاعته.

ولسائر الأنبياء والمؤمنين والملائكة شفاعات.
قال تعالى: { وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ} [الأنبياء: 28] ولا تنفع الكافر شفاعة الشافعين.
والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان، فالجنة مأوى أوليائه، والنار عقاب لأعدائه، وأهل الجنة فيها مخلدون {إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ - لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ} [الزخرف: 74 - 75].
ويؤتى بالموت في صورة كبش أملح، فيذبح بين الجنة والنار، ثم يقال: «يا أهل الجنة خلود ولا موت ويا أهل النار خلود ولا موت».

الشرح

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (فصل: الإيمان بكلّ ما أخبر به الرّسول صلّى الله عليه وسلَّم)

أي سواء كان من الأمور المشاهدة أو الغائبة عنّا الّتي لا نراها، والّتي لا تعرف إلا بالأخبارالصّادقة عن رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم، فكلّ ما ثبت عن النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم وجب الإيمان به، سواء أدركته عقولنا أم لا، وسواء شاهدناه بحواسنا أم لا، النَّاس لا يتفاضلون بالإيمان بالمشاهد، المشاهد الحسيّ يؤمن به الجميع، ولكن الميزة تكون بالإيمان بالأمور الغيبيّة الّتي غابت عنّا، بغض النَّظر عن كونها من نوع ما لا يدرك إلا بالعقل أم لا، وممّا لا يدرك إلا بالحس أو لا، فإنّ الإيمان بالأمور الغيبية يميز المؤمن عن غيره، و قد أثنى الله سبحانه وتعالى على الّذين يؤمنون بالغيب فقال سبحانه: { ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ

بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (5) } [البقرة: 2-5].

هذه المسألة من أعظم الفوارق بين أهل السنة والعقلانيين ، فأولئك لا يؤمنون إلا بما توافقه عقولهم من الغيبيات فقط ففي إيمانهم خلل ونقص، بخلاف أهل السنة يؤمنون بكل غيب ثبت في الشرع؛ إيماناً وتسليماً وانقياداً لشرع ربهم تبارك وتعالى .

قال رحمه الله تعالى: (ويجب الإيمان بكلّ ما أخبر به النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم وصح به النَّقل عنه فيما شاهدناه أو غاب عنّا، نعلم أنّه حق وصدق، وسواء في ذلك ما عقلناه وجهلناه، ولم نطّلع على حقيقة معناه) فهذا من مقتضى الإيمان به، فإن كنت بحق مؤمناً بمحمد صلّى الله عليه وسلَّم، وأنّه مبعوث من عند الله تبارك وتعالى، وأنّه صادق فيما يخبر به، فيلزمك أن تؤمن بكلّ ما أخبر به عن ربه تبارك وتعالى؛ لأنه لا ينطق عن الهوى بل يتكلم بوحي من الله تبارك وتعالى {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (4)}[النجم 3-4] وأمر الله تبارك وتعالى بتصديقه، فنصدقه فيما أخبر به، سواء وافقته عقولنا أم لم توافقه، فعقولنا لها حد تنتهي إليه كما قال الإمام الشافعي، لا يمكنها أن تدرك كل شيء ، فواجبها التسليم لأمر الله الذي أحاط بكل شيء علماً.

قال: (مثل حديث الإسراء والمعراج [1]، وكان يقظة لا مناماً؛ فإنّ قريشاً أنكرته وأكبرته، ولم تنكر المنامات).

من الغيبيّات الّتي يجب أن نؤمن بها حديث الإسراء والمعراج، الإسراء هو سير اللّيل، والمعراج هي الآلة الّتي يعرج بها، أي: يُصعد بها، وعرج أي: صعد.

[1] متفق عليه: البخاري (3207،3393،3430،3887) ومسلم (164) عن أنس بن مالك رضيّ الله عنه.

وهو في الشّرع: الآلة التي يصعد بها من الأرض إلى السّماء، وهو بمنزلة السُّلم، لكن لا يعلم كيف هو، وحكمه كحكم غيره من المغيبات، نؤمن به ولا نشتغل بكيفيته.

فالإيمان بالإسراء والمعراج من الإيمان بالامور الغيبيّة الّتي لم نرها، و لكن النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم أخبرنا بها، و كون النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم أخبرنا بها - وهو الصّادق الّذي لا يخبر إلا بصدق -، إذن يجب علينا أن نؤمن بها.

وقول المؤلف رحمه الله تعالى: (وكان يقظة لا مناماً) هذا ردّ على الّذين يقولون بأنّ قصة الإسراء والمعراج وما حصل مع النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم فيها كان في منامه، لا في الواقع، وهذا باطل.

ردّ عليهم المصنف، فقال: قريش أنكرته على النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم و أكبرته واستعظمت هذا الخبر –الذّي أخبر به النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم- وقريش لم تكن تنكر المنامات، كانوا يؤمنون بها ويعرفون المنامات، ولكنّهم أنكروا هذا الخبر، خبر الإسراء والمعراج، ممّا يدل على أنّهم فهموا من النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم أنّه حقيقة و ليس مناماً، و هذا ردّ في محلّه وهو قويّ عليهم.

أمّا قصة الإسراء والمعراج فهي قصة طويلة و معلومة، النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم كان في مكة فجاءه جبريل عليه السّلام فأخذه على دابّة يقال لها «البراق»، دابّة دون البغل وفوق الحصان، سرت بالنَّبي صلّى الله عليه وسلَّم من مكة إلى بيت المقدس، فنزل صلّى الله عليه وسلَّم وربطها عند البيت، ونزل وصلّى بالأنبياء في بيت المقدس، ثُمَّ عرج به جبريل إلى السّماء، فمرّ بالسّماء الأولى والثّانية والثّالثة والرّابعة والخامسة والسّادسة والسّابعة، وكلّم الله تبارك وتعالى، ففرض سبحانه وتعالى عليه خمسين صلاة.

فلمّا رجع النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم إلى السّماء السّادسة وكان فيها موسى أخبره أنّ أمّته لا تقدر على ذلك، فرجع صلّى الله عليه وسلَّم إلى ربّ العزة تبارك وتعالى، فبقي على هذا ينزل إلى موسى ويصعد إلى أن فرضها الله تبارك وتعالى خمس صلّوات، وأعطانا بها أجر خمسين صلاة فضلاً و تكرّماً منه سبحانه وتعالى.

فلمّا رجع النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم إلى موسى في السّماء السّادسة، أشار عليه أن يرجع إلى الله سبحانه وتعالى وأن يطلب التّخفيف، ولكن النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم قال له: إنّي استحييت من الله من كثرة ما راجعته في الأمر.

فاستقرت الصّلوات على خمس صلوات، هذا ملخص لقصة الإسراء والمعراج وهي طويلة، موجودة في الصّحيحين، و في غيرهما.

فهو خبر ثابت صحيح لا شك فيه لا ينكره إلا أهل البدع والضّلال، وأهل الكفر والجحود والإنكار، أمّا أهل السّنّة والجماعة فيؤمنون به أنّه حقيقيّ، وأنّه صحيح كما أخبرصلّى الله عليه وعلى آله وسلَّم.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (ومن ذلك أنّ ملك الموت لمّا جاء إلى موسى عليه السّلام ليقبض روحه لطمه ففقأ عينه، فرجع إلى ربه فردّ عليه عينه[11])

أي من الأُمورالّتي يجب على المسلم أن يؤمن بها؛ لأنّ النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم أخبرنا بها، حادثة لطم موسى لملك الموت .

هذه القصة في الصّحيحين متفق عليها، وفي غيرهما أيضاً، حيث جاء ملك الموت بصورة إنسان إلى موسى عليه السّلام؛ ليقبض روحه فلطمه موسى عليه السّلام ففقأ عينه، فرجع ملك الموت إلى الله سبحانه وتعالى، فأعاد الله تبارك وتعالى عليه

[1] متفق عليه البخاري (1339،3407) ومسلم (2372) عن أبي هريرة رضيّ الله عنه.

عينه، ثُمَّ قال له: « ارجع إليه، وقل له: يضع يده على متن ثور، فله بكلّ ما غطّى يده بكلّ شعرة سنة»، فقال موسى: ثُمَّ ماذا؟ فقال: ثُمَّ الموت، فقال: إذن الآن، فسأل الله سبحانه وتعالى أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية حجر، فقال النَّب يصلّى الله عليه وسلَّم: « فلو كنتُ ثمَّة لأريتكم قبره إلى جانب الطّريق عند الكثيب الأحمر» أي عند الرّمل المجتمع.

والخبر هذا في الصّحيحين، أنكره بعض أهل البدع، فقالوا: كيف يلطم موسى الملك و يفقأ عينه؟! فردّ عليهم أهل العلم: بأنّ موسى لم يكن يعلم أنه ملك الموت، جاءه على صورة إنسان، إنسان جاء ليقبض روحك ماذا تفعل؟ إنسان جاء ليقتلك ماذا تفعل؟ فدافع عن نفسه بهذه الطّريقة، فلا نكارة في الأمر.

قالوا: إذن، لماذا لم يقتص من موسى ؟ يعني أسئلة عقليّة محضة، وهي من السّخافة بمكان، لم يقتصّ من موسى لأمرين:

- **الأمرالأول**: أنّ الله تبارك وتعالى قد شرع لمن نظر في بيته من غير إذنه أن يفقأ عين من نظرة؛ لأنّه من حقه، ذاك معتدٍ، هذا الأمرالأول.

- **الأمرالثّاني**: من قال لهم بأنّ ملك الموت كان يريد القصاص وأنّه طالب بالقصاص؟ فشُبَهِهم مردّودة و باطلة، ولكن يتعلقون بأدنى شبهة، لردّ أحاديث النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم، لضعف الوازع الدّينيّ في قلوبهم، وضعف تصديقهم بما أخبر به صلّى الله عليه وسلَّم.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (ومن ذلك أشراط السّاعة)

أي وممّا يجب على المسلم أن يؤمن به؛ ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من أشراط السّاعة.

الأشراط جمع شرط وهو في اللّغة: العلامة، والسّاعة في اللّغة هي الوقت.

والمراد بها هنا: القيامة، فأشراط السّاعة: علامات يوم القيامة.

قال رحمه الله تعالى: (مثل خروج الدّجال)، الدّجال صيغة مبالغة من الدّجل وهو الكذب، وهو رجل ملبِّس يخرج في آخر الزّمان[1] يدَّعي الرّبوبية، ومعه فتن يفتن النَّاس بها، من ذلك أنّ معه جنّة وناراً، ولكن جنَّته نار وناره جنّة كما أخبرالنَّبي صلّى الله عليه وسلَّم[2]، و فتنته عظيمة حتّى أنّه ما جاء نبيّ إلا و حذّر أمّته منه وكان آخرهم نبينا صلّى الله عليه وسلَّم[3].

وهو خارج في أمّة محمد صلّىالله عليه وسلَّم فهي آخر الأمم، وكما ذكرنا فتنته عظيمة، ومن عظمها أوصى النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم بإلاستعاذة منه في دبر كلّ صلاة[4]، فنحن نستعيذ منه في اليوم أكثر من خمس مرات لعظم فتنته.

وقال النبي صلّى الله عليه وسلَّم في حديث آخر: «مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ، فَوَاللَّهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتَّبِعُهُ، مِمَّا يَبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ»، أَوْ «لِمَا يَبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ»[5]نسأل الله العافية والسّلامة.

وهذا الحديث الأخيرالذّي ذكرناه يدلّ على وجوب مجانبة من معه فتنة في الدّين، ومن هؤلاء أهل البدع والضّلال، فالشّخص يظنُّ من نفسه أنه آمن، كما نسمع كثيراً من الشّباب يقولون: أنا أذهب وأسمع فما أجده حقاً آخذ به، وما أجده باطلاً أتركه، هذا مسكين، لماذا؟ لأنّه لا يخلو حاله: إمّا أن يكون لا يعرف معنى الشّبهة

[1]متفق عليه ، البخاري (7130،3450) و مسلم (2934) عن حذيفة بن اليمان رضيّ الله عنهما ، وقد تواترت الأحاديث بخروج الدّجال.

[2] مسلم (2934) عن حذيفة بن اليمان رضيّ الله عنهما.

[3]متفق عليه البخاري (7407،7128،7127،7123،7126،6999،6175،5902،3441،3440،3439،3337،4402) ومسلم (169) عن ابن عمر رضيّ الله عنهما.

[4]متفق عليه البخاري (7129،6376،6375،6368،832) ومسلم(587) عن أم المؤمنين عائشة رضيّ الله عنها.

[5]رواه أحمد (19968،19878) و أبو داود (4319) وغيرهما من طرق اسناد صحيح عن جرير بن حازم عن محمد بن هلال عن أبي الدّهيماء عن عمران بن حصين رضيّ الله عنه.

وما تفعله في القلب، أو أنّه جاهل بالعلم أصلاً، فمن جهله يظنُّ أنّ عنده من العلم ما يتمكن معه من ردّ الشّبهات؛ فأنت إذا كنت ممّن له قدرة على ردّ الشّبهات والضّلالات، لماذا تذهب وتتعلم عند فلان وفلان أصلاً؟ أنت مثلك ينبغي أن يُعلم، فإذا لم تكن كذلك، فليس عندك القدرة على ردّ الشّبهات الّتي تعرض عليك، فمعلّمك هو الّذي يعطيك فكيف ستعرف خطأه من صوابه؟ فهذا الكلام كلام شخص لا يعي ما يقول، ودينه عنده رخيص، علماء راسخون في العلم كانوا يفرون من أهل البدع خشية وقوع شبهاتهم في قلوبهم؛ فالقلوب ضعيفة والشبه خطافة .

قال أبو قلابة رحمه الله تعالى: « لَا تُجَالِسُوا أَصْحَابَ الْأَهْوَاءِ، ولا تجادلوهم، فَإِنِّي لَا آمَنُ أَنْ يَغْمِسُوكُمْ فِي الضَّلَالَةِ, أَوْ يَلْبِسُوا عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ بَعْضَ مَا لَبَسَ عَلَيْهِمْ»[1] فيضيّعون عليكم دينكم.

وكان السّلف هم أئمّة الإسلام في وقتهم لا يجالسون أهل البدع، ولا يسمحون لهم أن يجالسوهم، لماذا؟ ألم يكن الواحد منهم قادراً على معرفة الحق من الباطل؟ كان قادراً ولكن ما أدراه أن تُلقى الشّبهة في قلبه فتعلق، كما قال محمد بن سيرين وغيره [2].

فإذن، من خشي على دينه و أراد أن يبقى في مأمن، فليبتعد عن أهل البدع والضّلال.

والدّجال ينكره العقلانيّون الّذين لا يؤمنون إلا بما وافق عقولهم، فيقولون: الأشياء الّتي أُخبرأنّه يأتي بها، هذه لا تتوافق مع العقل.

---

[1]أخرجه التّرمذيّ في سننه(4،5) والبدع والنّهي عنها لابن وضاح (121)و القدر للفريابي(366،370)، والشّريعة للآجريّ(114،143،2044).

[2]عن معمّر قال: كان ابن طاوس جالساً فجاء رجل من المعتزلة فجعل يتكلّم قال: فأدخل ابن طاوس إصبعيه في أذنيه وقال لإبنه، أي بني ، أدخل أصبعيك في أذنيك واشدد ولا تسمع من كلامه شيئاً، قال معمّر: يعني أنّ القلب ضعيف. جامع معمّر بن راشد(400)، شرح أصول الاعتقاد للالكائيّ(248)،الإبانة الكبرى(1778).

عقولكم فاسدة، من أين لكم أنّها لا تتوافق مع العقل، ولا يمكن أن تحصل؟! كلّه كلام فاسد وباطل، أخبر النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم أنّها ستحصل فستحصل، شئتم أم أبيتم، كما حصل في غير هذه.

ومن دلائل نبّوة محمد صلّى الله عليه وسلَّم ومن دلائل صدقه أنّه ما أخبر بشيء ماضٍ، ولا أخبر بشيء سيكون؛ إلا وقع كما أخبر، وما استطاع أحد في الدّنيا أن يثبت كذباً في خبره، وهذا من دلائل نبوته صلّى الله عليه وسلَّم.

اليوم كم تطورت من أمور، وكم وصل النَّاس إلى مباحث ما كانت تعرف من القديم خاصة مسائل الأجنّة، وهذه الّتي حدَّث عنها النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم بالتّفصيل، والكثير من الاكتشافات الحديثة قد أثبتت صدق ما أخبر به النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم، هذا ممّا يؤكد صدق نبوته صلّى الله عليه وسلَّم، وما استطاع جماعة أن يجمعوا على كذب خبر واحد جاء عنه صلّى الله عليه وسلَّم، ولن يستطيعوا، لأنّ المخبر هو رب العالمين تبارك وتعالى، الّذي خلق هذا الكون ويعلم ما فيه.

قال: « ونزول عيسى بن مريم عليه السّلام فيقتله»[1]، عيسى عليه السّلام معروف أنّه رفع في الأزمان الماضية، وكما أخبر النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم سينزل في آخر الزّمان عند المنارة البيضاء في دمشق، ويقتل الخنزير ويكسر الصّليب ، ويدرك الدّجال بباب لُدّ و يقتله هناك[2].

«لُدّ» مدينة من مدن فلسطين بجانب الرّملة، يدركه على بابها فيقتله هناك عيسى عليه السّلام.

---

[1] متفق عليه، البخاري (2222،2472،3448،3449) ومسلم (155) عن أبي هريرة رضيّ الله عنه، وقد تواترت الأخبار عند أهل السّنّة والجماعة في نزول عيسى بن مريم، وقد روي عن عدد من الصّحابة وقد دلّ على ذلك القران العظيم.

[2] أخرجه مسلم (2937) وغيره من حديث النّواس بن سمعان رضي الله عنه.

وهذا يكون في آخرالزّمان بعد أن يظهر المهدي، وظهور المهدي يسبق ظهور الدجال الذي هو أول علامات السّاعة الكبرى.

قال رحمه الله تعالى: (وخروج يأجوج ومأجوج) يأجوج ومأجوج أمَّتان من النَّاس أخبر الله تبارك وتعالى عنهم في كتابه الكريم، وذكر النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم فيهم عدة أحاديث أنّهم سيخرجون في آخر الزّمان، قال صلّى الله عليه وسلَّم: « فُتِحَ اليَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمأْجُوجَ مِثْلُ هَذَا، وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ وَبِالَّتِي تَلِيهَا»[1]

وجاء في الحديث أنّ النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم قال: «إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ - فَذَكَرَ - الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَأَجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ » رواه مسلم في صحيحه[2].

قال رحمه الله تعالى: (وخروج الدّابّة) وهي دابّة تخرج آخر الزّمان، قال تعالى {وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ }[النمل: 82] ودل عليها الحديث السابق، وأخرج مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا، طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحًى، وَأَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا، فَالْأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيبًا»[3].

---

[1] متفق عليه البخاري(3346، 3598، 7059، 7135)، ومسلم(2880) عن أمّ المؤمنين زينب بنت حمش رضيّ الله عنه.

[2] رواه أحمد(16144،6143،6141)،ومسلم(2901) عن حذيفة بن أسيد رضيّ الله عنه.

[3] أخرجه مسلم في صحيحه (2941).

قال: (وطلوع الشّمس من مغربها) هذه من علامات الساعة الكبرى التي أخبر عنها النبي صلى الله عليه وسلم فالواجب علينا أن نؤمن بذلك؛ لأنّ النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم أخبر بذلك كما في الحديث السابق، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم: « لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ فَرَآهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ، فَذَلِكَ حِينَ: {لاَ يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا}»[1] [الأنعام: 158]

قال: (وأشباه ذلك ممّا صحّ به النَّقل) والشّاهد من هذا كلّه: أنّ هذه الغيبيات كلّها وغيرها مما ورد؛ يجب علينا أن نؤمن بها؛ لأنّ النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم أخبرنا بها، وهذا من أصول الإيمان العظيمة.

وقد عدّد المؤلف رحمه الله تعالى بعض المسائل الّتي يجب على كلّ مسلم أن يؤمن بها؛ لورود الدّليل بها من كتاب الله أو من سنّة رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم، وهذه الأُمور لا تدرك إلا بالسّمع، لا تدرك إلا بالأدلّة السّمعيّة من كتاب الله وسنّة رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم، لا تدرك بالعقل، ولا بالمشاهدة لأنها لم تقع بعد، إنّما هي مسائل غيبيّة أخبرنا بها ربنا تبارك وتعالى، إمّا في كتابه، أو على لسان رسوله صلّى الله عليه وسلَّم، فوجب علينا الإيمان بها.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (وعذاب القبر ونعيمه حق)

عذاب القبر للفجّار، ونعيم القبر للأخيار، للصالحين، حق ثابت، العذاب ثابت والنَّعيم ثابت في القبر، والقبر حفرة من حفر النَّار، أو روضة من رياض الجنَّة، دلّ على ذلك الأحاديث الصّحيحة، وعذاب القبر ثابت بأدلّة متواترة في الصّحيحين وغيرهما من كتب السنن، ولكن التّواتر نوعان: **تواتر لفظيّ وتواتر معنويّ**.

---

[1] متفق عليه البخاري (6506، 4636،4635) ، ومسلم (157).

وهذه الأدلّة الّتي وردت في عذاب القبر تواترها تواتر معنوي، ماذا نعني بالتّواتر؟ أن يأتي حديث مثلاً بلفظ معين، وأن يروى بطرق كثيرة بنفس اللّفظ، كقول النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم: « من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النَّار»[1]، جاء هذا الحديث بهذا اللّفظ من طرق كثيرة، فهو متواتر تواتراً لفظياً، ورد بنفس اللّفظ.

أمّا المتواتر تواتراً معنويّاً فلا يَرد بنفس اللّفظ، ولكن تأتي عدة أحاديث فيها ما يدلّ على ما ذكرنا فيه التّواتر؛ كعذاب القبر هذا.

ورد حديث مثلاً: أنَّ النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم استعاذ من عذاب القبر، جاء في الصّحيحين: أنّه كان يقول في صلاته: «اللهمَّ إنّي أعوذ بك من عذاب القبر»[2]، وورد أيضاً عن عائشة رضي الله عنها أنّها جاءتها يهوديّة فقالت لها: أعاذك الله من عذاب القبر، فاستفسرت وسألت النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم عن عذاب القبر، فصدَّق اليهوديّة، وأكدَّ وجود عذاب القبر، وأنَّ النَّاس يعذّبون في قبورهم[3]، هذا حديث آخر، وإن كان هذا الحديث وذاك حديث الآخر مختلفان، إلا أنَّ الأول يدلُّ على عذاب القبر، والثّاني كذلك يدلّ على عذاب القبر، وكذلك الثّالث قول النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم عندما مرّ بقبرين، قال: «إنّهما ليعذّبان وما يعذّبان في كبير»[4]، دلَّ أيضاً هذا الحديث على عذاب القبر، فعندما تأتيك مجموعة من الأحاديث كهذه الأحاديث، كلّ منها يفيد وقوع عذاب القبر، فيكون عذاب القبر متواتراً تواتراً معنويّاً لا لفظيّاً، فأحاديث عذاب القبر متواترة كما قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى.

---

[1]متفق عليه، البخاري(106) و مسلم (1) عن علي رضيّ الله عنه، وقد ورد الحديث عن الزّبير بن العوام و أبي هريرة ومغيرة بن شعبة وغيرهم رضيّ الله عنهم.

[2] سبق تخريجه.

[3]متفق عليه، البخاري(1372،1049،1055،1235،6366) ومسلم(584،586) عن عائشة رضيّ الله عنها.

[4] متفق عليه، البخاري(216،218،1361،1378،6052،6055) و مسلم (292) عن ابن عباس رضيّ الله عنهما.

فعذاب القبر ونعيمه حق أي ثابت، نؤمن بذلك ونصدّقه؛ لأنّه جاء به الكتاب وجاءت به السّنّة، أمّا الكتاب، ففي قوله تبارك وتعالى: {**النَّار يعرضون عليها غدوا وعشيّا ويوم تقوم السّاعة أدخلو آل فرعون أشدّ العذاب**}[غافر: 46]، النَّار يعرضون عليها أي آل فرعون. أين؟ في القبر، لأنه قال بعد ذلك: {ويوم تقوم السّاعة} يدخلون أشدّ العذاب، فهذه الآية تدلّ على عذاب القبر.

أمّا الأحاديث فكما ذكرنا متواترة، فبما أنَّ عذاب القبر قد ثبت في الكتاب، وثبت في السّنّة ؛ وجب علينا الإيمان به والتّسليم لما قاله ربنا تبارك وتعالى، وبما أخبرنا به نبينا صلّى الله عليه وسلَّم، هكذا يكون الإيمان.

قال: (وقد استعاذ النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم منه)

في الصّحيحين: أنّ النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم كان يقول في صلاته: «اللهمَّ إنّي أعوذ بك من عذاب القبر »[1]، وأمر به أيضاً ورد في الصّحيح عَنْ مُصْعَبٍ قال: كَانَ سَعْدٌ، يَأْمُرُ بِخَمْسٍ، وَيَذْكُرُهُنَّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَأْمُرُ بِهِنَّ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ البُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ العُمُرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا - يَعْنِي فِتْنَةَ الدَّجَّالِ - وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ»[2]

قال: (وفتنة القبر حق) الفتنة هنا بمعنى الاختبار والامتحان، أي الاختبار الذي سيتعرض له العبد في قبره حق ثابت؛ لثبوته في الأحاديث الصّحيحة الواردّة عن النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم، منها أحاديث في الصّحيحين؛ كحديث البراء بن عازب رضي الله عنه، قال: قال النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم: «إذا أُقعد المؤمن في قبره أُتي ثُمَّ شهد أنّ لا إله إلاالله وأنّ محمداً رسول الله، فذلك قوله: **{يثبّت الله الّذين آمنوا**

[1] سبق تخريجه.
[2] أخرجه البخاري (6370).

بالقول الثّابت في الحياة الدّنيا وفي الآخرة}[ابراهيم: 27]، قال البراء: نزلت في عذاب القبر[1].

وحديث أنس: قَالَ: قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « العَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتُوُلِّيَ وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ، فَأَقْعَدَاهُ، فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الجَنَّةِ»، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا، وَأَمَّا الكَافِرُ - أَوِ المُنَافِقُ - فَيَقُولُ: لاَ أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ: لاَ دَرَيْتَ وَلاَ تَلَيْتَ، ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ »[2]

فهذه الآية مع الأحاديث تؤكّد حصول الامتحان، ووقوع عذاب القبر، فيأتي العبد ملكان فيقعدانه ويسألانه :من ربّك؟، وما دينك؟، وماذا كنت تقول في الرّجل الّذي بعث فيكم؟ فإن كان صالحاً قال: ربيّ الله، ونبييّ محمد صلّى الله عليه وسلَّم، وديني الإسلام، واذا كان غير ذلك قال: ها هاه، لا أدري»[3]

قال: (وسؤال منكر ونكير حق) أي حق ثابت ، وهما ملكان يسألان العبد في قبره يأتيانه فيسألانه عن دينه، وعن ربه، وعن نبيّه صلّى الله عليه وسلَّم، أمَّا السّؤال فثابت في الصّحيحين[4]، كما تقدم، أمَّا تسمية منكر ونكير فقد وردت في رواية عند التّرمذيّ مختلف في صحتها[5].

---

[1] متفق عليه، البخاري(1369،4669) و مسلم(2871) عن البراء رضيّ الله عنه.
[2] متفق عليه، البخاري(1338) و مسلم(2870) .
[3] أخرجه أحمد(18534،18614) وأبو داوود (4753) عن البراء بن عازب ، وأخرجه النَّسائيّ(2001) وابن ماجه (4195، 1548،1549) جزءاً منه.
[4] سبق تخريجه.
[5] أخرجه التّرمذيّ (1071) عن أبي هريرة رضيّ الله عنه، وقد أخرج الحديث الإمام أحمد وابن ماجه وآخرون من غير ذكر تسميّة الملكين.

ولا يستثنى من فتنة القبر إلا الشّهيد؛ لقوله صلّى الله عليه وسلَّم عندما سئل: ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشّهيد؟ قال: « كفى ببارقة السّيوف على رأسه فتنة»[1] وكذلك «من مات مرابطاً في سبيل الله» والحديث وارد في صحيح مسلم بذلك، من مات مرابطاً في سبيل الله، هؤلاء لا يفتنون في قبورهم.

قال رحمه الله تعالى: (والبعث بعد الموت حق) المراد بالبعث: إخراج النَّاس من قبورهم بعد الموت، وهو حق كما قال المؤلف، أي ثابت، وذلك حين ينفخ إسرافيل عليه السّلام في الصّور، إسرافيل ملك من ملائكة الله تبارك وتعالى، ينفخ في الصّور، أي ينفخ في قرن كبير، ينفخ نفخة فيخرج النَّاس من قبورهم، قال تعالى: { فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون }[يس: 51]، (من الأجداث) يعني من القبور و(ينسلون) يعني يخرجون سراعاً.

وقال تعالى: {زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ} [التغابن: 7] وقال عز وجل: {ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ} [المؤمنون: 15 - 16].

والأحاديث متواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (ويحشر النَّاس يوم القيامة حفاةً عراةً غرلاً بُهماً) بعد أن يخرج النَّاس من قبورهم يُجمع الخلائق للحساب والقضاء بينهم فقال: (يحشر النَّاس) أي يجمعون يوم القيامة (حفاةً) لا نعال ولا أحذية في أقدامهم (عراةً) لا ملابس عليهم، قالت عائشة رضي الله عنها: وينظر الرّجال والنِّساء إلى

[1] رواه النَّسائيّ في السّنن الكبرى(2191)، وفي السّنن(2053)، والجهاد لابن أبي عاصم(230)، وأبو نعيم الأصفهانيّ في معرفة الصّحابة(7211) بأسانيدهم عن صفوان بن عمرو عن راشد بن سعد عن رجل من الصّحابة، أن رجلاً قال: يا رسول الله، ما بال المؤمنين . . . ، وإسناده صحيح.

بعضهم؟ فقال النبي صلّى الله عليه وسلَّم: « يا عائشة الأمر أشدُّ من ذلك»[1]، أي فيه هول عظيم يشغل كل شخص بنفسه (غرلاً) أي غير مختونين (بُهماً) أي ليس معهم شيء، يأتون ولا شيء معهم.

كذا جاء في حديث عَائِشَةَ، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ النِّسَاءُ وَالرِّجَالُ جَمِيعًا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا عَائِشَةُ الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ».

وفي حديث ابن عباس قال: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطِيبًا بِمَوْعِظَةٍ، فَقَالَ: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تُحْشَرُونَ إِلَى اللهِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً، {كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ} [الأنبياء: 104] أَلَا وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلَائِقِ يُكْسَى، يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ»[2]

قال: (فيقفون في موقف القيامة)

قال النبي صلّى الله عليه وسلَّم: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ، كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ، لَيْسَ فِيهَا عَلَمٌ لِأَحَدٍ»[3]، هذا متفق عليه، الأرض الّتي يحشرون عليها يوم القيامة (بيضاء عفراء) بيضاء مشوبة بحمرة (كقرصة النّقي) أي كالرّغيف المنخول (ليس فيها علم لأحد) أرض فارغة لا شيء فيها.

[1]متفق عليه: البخاري(6527)، ومسلم(2859)
[2]متفق عليه: البخاري(**3349**)، ومسلم(**2860**)
[3] متفق عليه: البخاري(6521) ومسلم(2790) عن سهل بن سعد السّاعدي رضيّ الله عنه

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: « أَنَا سَيِّدُ الْقَوْمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، هَلْ تَدْرُونَ بِمَ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُبْصِرُهُمُ النَّاظِرُ وَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَتَدْنُو مِنْهُمُ الشَّمْسُ...» [1]

قال: (حتّى يشفع فيهم نبيّنا محمد صلّى الله عليه وسلَّم)

أحاديث الشّفاعة في الصّحيحين[2]، هذه الشّفاعة الخاصة بالنَّبي صلّى الله عليه وسلَّم، وسيأتي التّفصيل فيها.

عندما يحشر النَّاس يوم القيامة تقترب منهم الشّمس قدر ميل، فيغرقون في عرقهم، كلّ على حسب ذنوبه، ومنهم من يُلجمُهُ العرق إلجاماً؛ لكثرة ذنوبه أعاذنا الله وإياكم، ويشتدّ الأمر عليهم كثيراً فيأتون إلى الأنبياء؛ كي يشفعوا لهم عند الله سبحانه وتعالى؛ كي يبدأ الحساب ويخلصهم من ذاك الموقف.

فيأتون إلى آدم، ويأتون إلى نوح، و إبراهيم، وموسى، وعيسى ، فيقول كلّ نبي منهم: نفسي نفسي، ويذكر ذنباً إلى أن يأتوا إلى النَّبي محمد صلّى الله عليه وسلَّم فيقول: «أنا لها أنا لها» ويذهب و يسجد عند ربِّ العزة تبارك وتعالى ثُمَّ يأذن له بالشّفاعة.

قال: (ويحاسبهم الله تبارك وتعالى)

المؤمن تعرض عليه أعماله ثُمَّ يعفو الله عنه، وأمّا من نوقش الحساب عذّب، كما قال النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم: «مَنْ حُوسِبَ عُذِّبَ»، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ أَوَلَيْسَ

---

[1] متفق عليه: البخاري(3340) ومسلم(**194**) عن أبي هريرة رضيّ الله عنه
[2] سيأتي تخريجها إن شاء الله .

يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: {فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا} [الانشقاق: 8] قَالَتْ: فَقَالَ: « إِنَّمَا ذَلِكِ العَرْضُ، وَلَكِنْ: مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ يَهْلِكْ »[1].

وأمّا السّبعون ألفاً فهؤلاء يدخلون الجنَّة بغير حساب ولا عذاب، كما جاء في الصّحيحين[2]، فلا ينجو من الحساب إلا السّبعون ألفاً الّذين ذكروا في هذا الحديث، ولا ينجو من حرَّ الشّمس في الموقف إلا السّبعة الّذين يظلّهم الله في ظلّه يوم لا ظلّ إلا ظله[3].

قال: (وتنصب الموازين)

أي موازين الأعمال، موازين: جمع ميزان، والموازين هذه لها كفتّان- كما سيأتي إن شاء الله تعالى- تنصب الموازين؛ لوزن الأعمال.

قال تعالى {وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (8) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ }[الأعراف 8-9]

(وتنشر الدواوين)

الدواوين: جمع ديوان ، وهي الكتب الّتي تكتب فيها أعمال بني آدم. كل شيء يعمله العبد ، مكتوب في صحف، ويوم القيامة يأخذ كتابه إما بيمينه إن كان مؤمناً، أو بشماله إن كان كافراً .

---

[1] متفق عليه، البخاري(103،4939،6536) ومسلم(3876) عن عائشة رضيّ الله عنها.
[2] متفق عليه، البخاري(3410،5705،5752،6472،6541) ومسلم(220) عن ابن عباس رضيّ الله عنهما.
[3] متفق عليه: البخاري(660،1423،6479،6806) ومسلم(1031) عن أبي هريرة رضيّ الله عنه.

{فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (7) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (8) وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا (9) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (10) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (11) وَيَصْلَى سَعِيرًا }[الإنشقاق: 7-12]

{وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ }[الحاقة: 25]

نؤمن بكلّ هذا ونصدّق به؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى أخبرنا به، ولأنّ النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم- وهو الصّادق المصدوق- أخبرنا أيضاً بذلك، فنحن نؤمن بأنَّ كلّ هذا سيحصل.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (والميزان له كفّتان ولسان توزن به الأعمال)

أي **الميزان** الّذي توزن به الأعمال يوم القيامة له كفّتان، ولسان، توزن به الأعمال.

الميزان نفسه أدلته في الكتاب والسنة، تقدم بعضها .

وأمّا **الكفتان** فورد ذكرهما في حديث البطاقة الّذي قال فيه النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم: « فتوضع السّجلات في كفّة والبطاقة في كفّة»[1]، فعلمنا أنّ الميزان له كفّتان.

وأمّا **اللّسان** فلم أجد عليه دليلاً من الكتاب أو السنة، ولكن قال أبو إسحاق الزجاج : «أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان، وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة، وأن الميزان له لسان وكفتان ويميل بالأعمال»[2] . وهذا كافٍ.

---

[1] ذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري (538/13).

[2] أخرجه أحمد (6583،6994،7066،7401)، والتّرمذيّ (2639)، وابن ماجه (4300) عن عبد الله بن عمرو رضيّ الله عنهما.

والعلماء يذكرون الكفتين واللسان، للتأكيد على أنه ميزان حقيقي، وليس هو العدل أو غيره كما تقوله المعتزلة .

وقد حصل خلاف بين أهل العلم: هل الأعمال هي الّتي توزن؟ أم يوزن النَّاس أنفسهم؟ أم توزن الصّحف؟ خلاف بين أهل العلم، والظّاهر أنَّ كلّ هذا يحصل؛ لأن الأدلّة تدل على ذلك.

ففي حديث البطاقة توزن **السجلات**.

وفي حديث أبي هريرة – أخرجه البخاري - يوزن **الشخص نفسه** قال النبي صلى الله عليه وسلم : «إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، اقْرَءُوا {فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا}».

وفي حديث أبي هريرة - متفق عليه - توزن **الأعمال** عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ».

قال: ({فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون* ومن خفّت موازينه فأولئك الّذين خسروا أنفسهم في جهنَّم خالدون }[المؤمنون 102، 103]

فالأعمال توزن يوم القيامة، فإذا غلبت سيئات الشّخص حسناته فهو من الهالكين، وإذا غلبت حسناته فهو من النّاجين.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (و لنبيّنا محمد صلّى الله عليه وسلَّم حوض في القيامة، ماؤه أشد بياضاً من اللّبن، وأحلى من العسل، وأباريقه عدد نجوم السّماء)

(أباريقه) كالأكواب يشرب بها، لكن لها نصف حلقة تمسك بها يقال لها عُرى (عدد نجوم السّماء) أي كثيرة جدا (من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً) لا يصيبه عطشٌ البتّة، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من أهله، وشربهم بعد ذلك في الجنَّة إنّما هو للاستمتاع فقط، وجاءت بذلك أحاديث بمعنى ما ذكر المصنف رحمه الله تعالى.

منها حديث أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا آنِيَةُ الْحَوْضِ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا، أَلَا فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ الْمُصْحِيَةِ، آنِيَةُ الْجَنَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ آخِرَ مَا عَلَيْهِ، يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ، عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ، مَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلَى أَيْلَةَ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ»[1]

قال: (والصّراط حقّ يجوزه الأبرار، ويزلُّ عنه الفجار)

الصّراط هو الجسر، جسرٌ ممدود على جهنَّم؛ ليعبر النَّاس عليه إلى الجنَّة، وهو ثابت بالكتاب والسّنّة، ويؤمن به أهل السّنّة والجماعة ، قال الله تبارك وتعالى: {وإن منكم إلا واردها}[مريم: 71]، فسّرها غير واحد من السّلف بأنّه: وروده على الصّراط، وهذا أصحُّ تفسير لها.

وقال النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم: «ثُمَّ يضرب الجسر على جهنَّم، وتحل الشّفاعة، ويقولون: -أي الأنبياء-اللهمَّ سلَّم سلَّم».

وجاء في صفته أنّه: «مدحضة مزلة، عليها خطاطيف، وكلاليب، وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء، تكون بنجد يقال لها السّعدان» رواه البخاري[2]، وفي

---

[1] أخرجه مسلم (2300) عن أبي ذر رضيّ الله عنه.

[2] متفق عليه: البخاري (22،4581،4730،4919،6549،6560،7439،7518)، ومسلم (183،184،185،2829،2849) عن أبي سعيد الخدريّ رضيّ الله عنه.

رواية: «وبه كلاليب مثل شوك السّعدان، غير أنّها لا يعلم قدر عظمها إلا الله، يخطف النَّاس بأعمالهم» تأخذهم على حسب أعمالهم، فمنهم مخدوش ومرسل - يخدش ولكنّه ينجو- ومنهم مكدوس في جهنَّم» فتأخذه وتنزل به إلى نار جهنَّم، نسال الله أن يعافينا وإياكم.

جاء في الحديث الصّحيح : يَمُرّ المؤمن على الجسر على الصّراط كطرف العين، وكالبرق، وكالرّيح، وكالطّير، وكأجأويد الخيل، والرّكاب، فناجٍ مسلم، ومخدوش مرسل، ومكدوس في جهنَّم(مخدوش مرسل) يعني مطلق.

والسّير على الصّراط بهذه السّرعات المختلفة على حسب الأعمال، فالأعمال هي الّتي تجعلك تسير بشكل أسرع من الآخرين، وجاء ذلك في صحيح مسلم في رواية واضحة في ذلك قال: «تجري بهم أعمالهم ونبيّكم قائم على الصّراط يقول: يا رب سلَّم سلَّم، حتّى تعجز أعمال العباد، حتّى يجيء الرّجل فلا يستطيع السّيرإلا زحفاً»[1] لأعماله القليلة.

قال رحمه الله تعالى: «ويشفع نبيّنا صلّى الله عليه وعلى آله وسلَّم فيمن دخل النَّار من أمّته من أهل الكبائر، فيخرجون بشفاعته بعدما احترقوا وصاروا فحماً وحمماً، فيدخلون الجنَّة بشفاعته، ولسائر الأنبياء والمؤمنين والملائكة شفاعات[2]**، قال تعالى: { ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون } [الأنبياء: 28]، ولا تنفع الكافر شفاعة الشّافعين9.**

الشّفاعة: هي التّوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة، والشّفاعة يوم القيامة نوعان:

شفاعة خاصة بالنَّبي صلّى الله عليه وسلَّم، **وشفاعة عامّة** له ولغيره من الأنبياء

[1] رواه مسلم (195) عن حذيفة بن اليمان رضيّ الله عنه.

[2] سبق تخريجه في المتفق عليه من حديث أبي سعيد الخدريّ رضيّ الله عنه.

والملائكة والصّالحين والشّهداء، فالخاصة بالنَّبي صلّىالله عليه وسلَّم هي الشّفاعة العظمى، الشّفاعة في أهل الموقف لقيام الحساب.

وأمّا الشّفاعة العامّة فهي الشّفاعة فيمن دخل النَّار من المؤمنين من أهل الكبائر أن يخرجوا منها، جاء في حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم: « أمّا أهل النَّار الّذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناس أصابتهم النَّار بذنوبهم -أو قال بخطاياهم- فأماتهم إماتة، حتّى إذا كانوا فحماً أُذن بالشّفاعة»[1]، وأحاديث الشّفاعة في الصّحيحين كثيرة تدلُّ على خروج المذنبين من النَّار، وكما قال صلّى الله عليه وسلَّم: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمّتي»[2].

فشفاعة النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم وشفاعة الملائكة وشفاعة الصّالحين، كلّها ثابتة في أحاديث كثيرة لم ينكرها إلا الخوارج والمعتزلة، بناء على أصولهم أنَّ صاحب الكبيرة كافر لا يخرج من النَّار، أمّا أهل السّنّة والجماعة فيعتقدون أنَّ صاحب الكبيرة مؤمن ناقص الإيمان أوأنّه فاسق يعذب في نار جهنَّم- إن شاء الله له ذلك -، على قدر ذنوبه، ثُمَّ يخرج منها كما صحّت بذلك أحاديث كثيرة.

و يشترط لهذه الشّفاعة شرطان:

الشرط الأول: إذن الله للشافع أن يشفع، وهذا مأخوذ من قول الله تعالى: { من ذا الّذي يشفع عنده إلا بإذنه}[البقرة: 255]، فلا أحد له قدرة على أن يشفع إلا إن أذن الله سبحانه وتعالى بذلك.

---

[1] سبق تخريجه.

[2] رواه أحمد(13222) وأبو داود(4739) والتّرمذيّ (2436،2435) عن أنس رضيّ الله عنه.
وابن ماجه(4310) عن جابر بن عبدالله رضيّ الله عنهما، وقال التّرمذيّ عقب حديث جابر: غريب من هذا الوجه مستغرب عن حديث جعفر بن محمد.

الشّرط الثّاني: أن يرضى أن يُشفع في المشفوع فيه، فلا يشفع أحد في أحد إلا أن يرضى الله سبحانه وتعالى لفلان أن يشفع في فلان، قال { ولا يشفعون إلا لمن ارتضى}[الأنبياء: 28] من ارتضى أن يشفعوا فيه.

فأمّا الكافر فلا شفاعة له، كما قال تبارك وتعالى:{فما تنفعهم شفاعة الشّافعين } [المدثر: 48].

قال رحمه الله تعالى: (والجنَّة والنَّار مخلوقتان لا تفنيان) (مخلوقتان) أي موجودتان الآن (لا تفنيان) تبقيان إلى ما لا نهاية، لا تفنيان البتّة (**فالجنَّة مأوى أوليائه**) يأوي إليها الأولياء المؤمنون، أي ينزلونها ويستقرون فيها (**والنَّار عقاب لأعدائه**) يتعذبون فيها .

(**وأهل الجنَّة فيها مخلَّدون**) أي لا يفنون ولا يخرجون من الجنَّة، بل هم باقون دائماً {.

(**والمجرمون {في عذاب جهنَّم خالدون* لا يُفتّر عنهم وهم فيه مبلسون**})[الزّخرف: 74، 75] أي: آيسون من رحمة الله تبارك وتعالى، لا يخرجون من العذاب أبداً، ولا ينقطع العذاب عنهم أبداً ولا يخفف.

وقول المؤلف رحمه الله تعالى: هما مخلوقتان؛ أي الجنَّة والنَّار، دليل ذلك قول الله تبارك وتعالى في الجنَّة: {أعدّت للمتّقين}[آل عمران: 133] أي أعدّت، فهي معدّة و جاهزة و موجودة للمتقين، وقال أيضاً في النَّار: **{أعدت للكافرين}**[آل عمران: 131].

و جاء في أحاديث كثيرة أنّ النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم رأى الجنَّة ورأى النَّارأيضاً ورأى أقواماً يعذّبون في نار جهنَّم، ورأى أقواماً ينعّمون في الجنَّة في

أحاديث كثيرة، حتّى إنّه همَّ أن يأخذ منها عنقوداً من العنب كما جاء في الحديث قال: « إنِّي رأيت الجنَّة فتناولت منها عنقوداً، ولو أخذته لأكلْتم منه ما بقيت الدّنيا، و رأيت النَّار فلم أرَ كاليوم منظراً قطّ أفظع منها» وهذا الحديث متفق عليه[1]، وهذه القصة في صلاة الكسوف.

والقول بأنهما تخلقان يوم القيامة قول باطل.

وأمَّا الجنَّة والنَّار وكونهما باقيتين لا تفنيان أبداً فأدلّة ذلك في السّنة كثيرة جداً، قال الله تعالى: {**جزاؤهم عند ربهم جنَّات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا** }[البينة: 8]، أي لا ينقطع خلودهم البتّة.

وأمّا في النَّار فقال تبارك وتعالى: {**ولا ليهديهم طريقا* إلا طريق جهنَّم خالدين فيها أبداً** }[الاحزاب: 64، 65] وقال أيضاً: {**إنَّ المجرمين في عذاب جهنَّم خالدون* لا يفتّر عنهم وهم فيه مبلسون** }[الزّخرف 74، 75]

هذا ردّ على الّذين قالوا بفناء النَّار، وهو قول مردود باطل لا يقبل من قائله، لمخالفته لهذه الأدلّة الواضحة الصّريحة المحكمة.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (و يؤتى بالموت في صورة كبش أملح)

عندما يستقر أهل الجنَّة في الجنَّة، و أهل النَّار في النَّار، يؤتى بالموت في صورة كبش أملح، الأملح: الّذي فيه بياض وسواد إلا أنَّ بياضه أكثر من سواده.

والأصل في الموت أنّه شيء معنويّ ليس شيئاً محسوساً، ولكن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يفعل ما يشاء، فيأتي به في صورة كبش أملح، هكذا يجعله الله تبارك وتعالى .

---

[1] متفق عليه، البخاري(5197، 3202، 29،431،748،1052) ومسلم(902،907،908،909،2737)، عن ابن عباس رضيّ الله عنه.

(فيذبح بين الجنَّة والنَّار، ثُمَّ يقال: يا أهل الجنَّة خلود ولا موت، ويا أهل النَّار خلود ولا موت)

هكذا جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:« يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ [ص:94] رَآهُ، فَيُذْبَحُ ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ، ثُمَّ قَرَأَ: {وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ} [مريم: 39]، وَهَؤُلاَءِ فِي غَفْلَةٍ أَهْلُ الدُّنْيَا {وَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ} [مريم: 39] »[1]

ما أعظم هذا الحدث عند أهل الجنَّة وعند أهل النَّار، أمّا أهل الجنَّة فيزيد نعيمهم نعيماً، و أمَّا أهل النَّار فيزيد عذابهم عذاباً، فأهل النَّار ما كان لهم مفرٌّ ولا مخرج ممَّا هم فيه إلا الموت، فلمَّا ذُبح الموت أمامهم، ما بقي مفرّ من بقاء العذاب الّذي هم فيه، نسأل الله أن يعافينا وإياكم، وأن يُحسنَ خاتمتنا وخاتمتكم.

نسأل الله سبحانه وتعالى العافية والسّلامة، هذا يدل على بقاء الجنة والنار وعدم فنائهما .

متن

فصل في حق النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم وأصحابه

[1] سبق تخريجه من حديث أبي سعيد الخدريّ رضيّ الله عنه في المتفق عليه.

محمد خاتم النبيين، ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وسيد المرسلين، لا يصح إيمان عبد حتى يؤمن برسالته ويشهد بنبوته، ولا يقضى بين الناس في القيامة إلا بشفاعته.

ولا يدخل الجنة أمة إلا بعد دخول أمته صاحب لواء الحمد والمقام المحمود والحوض المورود، وهو إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم، أمته خير الأمم وأصحابه خير أصحاب الأنبياء عليهم السلام.

وأفضل أمته أبو بكر الصديق ثم عمر الفاروق ثم عثمان ذو النورين ثم علي المرتضى رضي الله عنهم أجمعين، لما «روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كنا نقول والنبي صلى الله عليه وسلم حي: أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي فيبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فلا ينكره».

وصحت الرواية عن علي رضي الله عنه أنه قال: « خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ولو شئت لسميت الثالث »، وروى أبو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما طلعت الشمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين على أفضل من أبي بكر» ، وهو أحق خلق الله بالخلافة بعد النبي صلى الله عليه وسلم لفضله وسابقته، وتقديم النبي صلى الله عليه وسلم له في الصلاة على جميع الصحابة رضي الله عنهم، وإجماع الصحابة على تقديمه ومبايعته، ولم يكن الله ليجمعهم على ضلالة.
ثم من بعده عمر رضي الله عنه لفضله وعهد أبي بكر إليه، ثم عثمان رضي الله عنه، لتقديم أهل الشورى له، ثم علي رضي الله عنه، لفضله وإجماع أهل عصره عليه.
هؤلاء الخلفاء الراشدون المهديون الذين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ».
وقال صلى الله عليه وسلم: «الخلافة من بعدي ثلاثون سنة»، فكان آخرها خلافة علي رضي الله عنه.
ونشهد للعشرة بالجنة كما شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وسعد في الجنة، وسعيد في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة».

وكل من شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة شهدنا له بها؛ كقوله صلى الله عليه وسلم: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة».
وقوله لثابت بن قيس: «إنه من أهل الجنة».
ولا نجزم لأحد من أهل القبلة بجنة ولا نار إلا من جزم له الرسول صلى الله عليه وسلم، لكن نرجو للمحسن ونخاف على المسيء.

ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب، ولا نخرجه عن الإسلام بعمل.

ونرى الحج والجهاد ماضيين مع طاعة كل إمام، براً كان أو فاجراً، وصلاة الجمعة خلفهم جائزة.

قال أنس: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ثلاثة من أصل الإيمان: الكف عمن قال: لا إله إلا الله، ولا نكفره بذنب، ولا نخرجه من الإسلام بعمل، والجهاد ماض منذ بعثني الله عز وجل حتى يقاتل آخر أمتي الدجال، لا يبطله جور جائر، ولا عدل عادل، والإيمان بالأقدار»، رواه أبو داود.

ومن السنة تولي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحبتهم وذكر محاسنهم، والترحم عليهم، والاستغفار لهم والكف عن ذكر مساوئهم وما شجر بينهم، واعتقاد فضلهم ومعرفة سابقتهم، قال الله تعالى: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا} [الحشر: 10]

وقال تعالى: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ} [الفتح: 29]

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تسبوا أصحابي؛ فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه».

الشرح

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (ومحمد رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم خاتم النَّبيين) فالواجب على المؤمن أن يؤمن برسالة محمد صلّىالله عليه وسلَّم، وأن يصدّق بأنّه مرسل من عند الله تبارك وتعالى وأنه آخر نبي لا نبي بعده ؛ لقول الله

تعالى: {**ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النَّبيين**} [الأحزاب: 40]، وقال صلّى الله عليه وسلَّم كما جاء في الحديث المتفق عليه: « لا نبيّ بعدي»[1]، فلا نبي بعد محمد صلّى الله عليه وسلَّم.

فمن اعتقد أنه يبعث نبي بعده صلى الله عليه وسلم فهو كافر؛ لأنه مكذب لله ومكذب لرسوله صلى الله عليه وسلم .
أما نزول عيسى فليس من هذا الباب؛ لأنه لا ينسخ شريعة محمد صلى الله عليه وسلم بل يحكم بها، ولا يأتي بدين آخر، بل يصلي خلف إمام هذه الأمة ، ويقول: إمامكم منكم .

قال: (وسيد المرسلين) لقول النبي صلّى الله عليه وسلَّم: « أنا سيد النَّاس يوم القيامة ولا فخر»[2]، كما جاء في رواية، فهو سيّد المرسلين، و سيد النَّاس جميعاً، فهذا من حقوق النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم الّتي نثبتها له؛ لكونها ثبتت له في الأدلّة الصّحيحة.

قال: (لا يصحّ إيمان عبد حتّى يؤمن برسالته، ويشهد بنبوّته) لقول الله تبارك وتعالى: {فلا وربك لا يؤمنون حتّى يحكّموك فيما شجر بينهم ثُمَّ لا يجدوا في أنفسهم حرجاً ممَّا قضيت ويسلَّموا تسليماً}[النِّساء: 65].

وقال النبي صلّى الله عليه وسلَّم: « والذّي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمّة، يهوديّ ولا نصرانيّ ثُمَّ يموت ولم يؤمن بالذّي أرسلت به إلا كان من أصحاب النَّار»[3]، والمراد بالأمّة هنا الّتي قال فيها النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم: « لا يسمع بي أحد من هذه الأمّة» أي: أمَّة الدّعوة الّتي دعاها صلّى الله عليه وسلَّم إلى

---

[1] متفق عليه: البخاري(3455) ومسلم(1842) عن أبي هريرة رضيّ الله عنه، ورواه البخاري(3706،4416)، ومسلم (2204) عن سعد بن أبي وقاص رضيّ الله عنه.
[2] رواه أحمد(10987) والتّرمذيّ(3148،3615) وابن ماجه(4308) عن أبي سعد رضيّ الله عنه، وهو في الصّحيحين من وجه آخر عن أبي هريرة رضيّ الله عنه: البخاري(3340،4712،3361)، ومسلم. (194،2278) في قصة الشّفاعة الكبرى.
[3] اخرجه أحمد (8203،8609)، ومسلم (153) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

دينه، ومنهم اليهود والنَّصارى، فإذا لم يؤمنوا بالنَّبي صلّى الله عليه وسلَّم كانوا من أصحاب النَّار.

هذا الحديث أخرجه مسلم وفيه ردّ على الّذين يدّعون أنّ اليهود والنّصارى مؤمنون، وبيننا وبينهم أخوّة الإيمان، هذا كلام باطل مردّود على صاحبه، فالإيمان الّذي عند اليهود والنّصارى لا ينفعهم، الإيمان الّذي ينفع هو الإيمان الشّرعي الّذي أخبر به النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم، الإيمان بالله والإيمان برسول الله صلّى الله عليه وسلَّم، والإيمان بما جاء به من شريعة ، فمن لم يؤمن برسول الله صلّى الله عليه وسلَّم فلا يقبل منه، ومن لم يؤمن بالإسلام الّذي جاء به محمد صلّى الله عليه وسلَّم فلن يقبل منه؛ قال الله تعالى: {**وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ**}**[هود:17]، وقال:** {**فمن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه**}[آلعمران: 95]، وقال تعالى: {**إنّ الدّين عند الله الإسلام** }[آل عمران: 19].

فالدّين عند الله سبحانه وتعالى هو دين الإسلام، الّذي يقرر بأنّه لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً رسول الله، فمن لم يؤمن برسالة محمد صلّى الله عليه وسلَّم وأنه أرسل لجميع النَّاس كافة، فليس بمؤمن وإيمانه غير معتبر، ولا يتعلق به أحكام شرعيّة، يعني: أنّه لا يصح أن نقول بأنّه مؤمن وأنّه أخونا في الإيمان، هذا لا يقال.

قال الله تبارك وتعالى: {**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ**}[سبأ: 28]، وقال: {**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**}**[الأعراف: 158]**

الإيمان المعتبر الّذي تكون به الأُخوّة، ويعقد عليه الولاء، هو الإيمان الشّرعي الّذي جاء به محمد صلّى الله عليه وسلَّم، أمّا القول بأنّ اليهود والنّصارى وغيرهم

من الكفرة هم مؤمنون لأنّهم يؤمنون بوجود الله تبارك وتعالى؛ فهذا قول باطل وفاسد مردود على صاحبه، وإلا فكفَّار قريش أيضاً مؤمنون، ماذا قال سبحانه وتعالى فيهم؟ {**ولئن سألتهم من خلق السّموات والأرض ليقولنّ الله**} [لقمان: 25]، فهم يؤمنون بوجود الله ويؤمنون بأنّه هو الخالق و هو الرّزاق، فماذا إذن؟ هو إيمان لا ينفع، لا ينفع الإيمان إلا بأن تؤمن بما جاء به محمد صلّى الله عليه وسلَّم.

قال رحمه الله تعالى: (ولا يقضى بين النَّاس يوم القيامة إلا بشفاعته)؛ لحديث الشّفاعة في الموقف الّذي تقدم عندما يأتي النَّاس إلى الأنبياء فيقول النَّبي: نفسي نفسي، إلى أن يأتوا إلى نبينا محمد صلّى الله عليه وسلَّم، فيقول: أنا لها أنا لها.

قال: (ولا يدخل الجنَّة أمّة إلا بعد دخول أمّته) لقول النبي صلّى الله عليه وسلَّم: « نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنَّة»[1]

قال: (صاحب لواء الحمد)اللّواء كالرّاية، ولكنه يلف على الرمح، ولا يرفرف كالراية، جاء في حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أنا سيّد ولد آدم يوم القيامة، ولا فخر، وبيدي لواء الحمد»[2] أخرجه التّرمذيّ، و له شواهد يرتقي بها إن شاء الله تعالى إلى الحسن.

قال: (والمقام المحمود)[3] هو العمل الّذي يحمد عليه فاعله، وهنا المقصود به: الشّفاعة.

قال: (والحوض المورود) الّذي يأتيه النَّاس ويردونه، وقد تقدّم دليله.

---

[1] متفق عليه: البخاري(238،876،896،2956،3486،6624،6887،7036،7495)، ومسلم (849،855) عن أبي هريرة رضيّ الله عنه.
[2] سبق تخريجه.
[3] اخرجه أحمد(14619،14817)والبخاري (614،4719) عن جابر بن عبدالله رضيّ الله عنهما.

قال: (وهو إمام النَّبيين وخطيبهم، وصاحب شفاعتهم) جاء في ذلك حديث عند التّرمذيّ وابن ماجه من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم: «إذا كان يوم القيامة كنت إمّام النَّبيين و خطيبهم و صاحب شفاعتهم غير فخر»[1]، وهو حسن بطرقه إن شاء الله تعالى.

قال: (أمّته خير الأمم، وأصحابه خير أصحاب الأنبياء عليهم السّلام) لقول الله تبارك وتعالى: {كنتم خير أمّة أخرجت للنّاس} (آل عمران 110)، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ....»، متفق عليه، ونقلوا اتفاق أهل السّنّة على أنّ الصّحابة أفضل النَّاس بعد الأنبياء.

والصحابي هو: من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمناً به ومات على ذلك.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (وأفضل أمَّته أبو بكر الصّديق، ثُمَّ عمر، ثُمَّ عثمان، ثُمَّ علي المرتضى رضي الله عنهم أجمعين، لما روى عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: «كنَّا نقول والنَّبي صلّى الله عليه وسلَّم حيّ: أفضل هذه الأمّة أبو بكر، ثُمَّ عمر، ثُمَّ عثمان ثُمَّ عليّ، فيبلغ ذلك النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم فلا ينكره)[2] هذه الزيادة: (ثُمَّ عليّ) ليست في الحديث، الصّواب في الحديث ، وهو الموجود في الصّحاح والسّنن، بلفظ: «أفضل هذه الأمّة بعد نبيّها أبوبكر ثُمَّ عمر ثُمَّ عثمان» فهذه الزيادة (ثُمَّ علي) ليست من الحديث.

[1] أخرجه أحمد(21249،21256،21259 ،21245)، والتّرمذيّ(3613) وابن ماجة(4314) عن أُبيّ بن كعب رضيّ الله عنه.

[2] رواه البخاري(3655،3697)، وأبو داوود (4628)، والتّرمذيّ(3707) عن ابن عمر رضيّ الله عنهما ، واللّفظ المذكور عند أبي عاصم في سنّته(1193).

قال: (وصحّت الرّواية عن عليّ رضيّ الله عنه أنّه قال: «خير هذه الأمّة بعد نبيّها أبو بكر ثُمَّ عمر ولو شئت لسمّيت الثّالث)[1].

أبو بكر الصّديق معروف، هو عبدالله بن عثمان بن عامر من بني تيّم، آمن بالنَّبي صلّى الله عليه وسلَّم، وكان أول من آمن به من الرّجال وكان صاحبه ورفيقه، وأشار النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم بإمامته للمسلمين من بعده، وهو خيرالصّحابة بل هو خير النَّاس بعد الأنبياء.

وعمر هو أبو حفص الفاروق، ولقب بالفاروق؛ لأنّه فرّق بين الحق والباطل، وهو من بني عديّ وجميعهم من قريش، أبو بكر وعمر، من قريش.

والّذي استخلفه أبوبكر الصّديق من بعده، وأبو بكر وعمر صاحبا رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم ووزيراه، جاءت أحاديث كثيرة في بيان فضائلهما رضي الله عنهما.

والرّواية الّتي ذكرها المصنّف في قوله: « وصحّت الرّواية عن عليّ رضي الله عنه أنّه قال: «خير هذه الأمّة بعد نبيّها أبو بكر ثُمَّ عمر ولو شئت لسمّيت الثّالث» الثّالث هو عثمان، هذه الرّواية صحيحة، وفيها ردّ على الرّافضة الّذين يطعنون في أبي بكر وعمر، ويدّعون أنّهم يتولون عليّ بن أبي طالب، فإن كانوا يتولونه ويعتقدونه معصوماً، فلماذا إذن لا يأخذون بما قاله في أبي بكر وعمر؟! إنّما هو الهوى فقط، الحاكم عندهم هو الهوى لا الدّليل.

وعثمان هو أبو عبدالله ذو النُّورين عثمان بن عفان من بني أمّية، وهو قرشيٌّ أيضاً، و قد زوجه النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم بابنتيه، لذلك لقب بـ(ذو النورين)

[1] أخرجه أحمد(836)، والبخاري(3671)، لكن البخاري آخرجه بلفظ آخر عن محمد بن الحنفية عن أبيه عليّ رضيّ الله عنه.

وهذه فضيلة أيَّما فضيلة، فخير هذه الأمّة -كما كانوا يقولون- في عهد النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم: «أبو بكر ثُمَّ عمر ثُمَّ عثمان» ثُمَّ عليّ من بعدهم.

وعليّ هو ابن أبي طالب، ابن عمِّ رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم، أبو الحسن، قرشيّ، والد الحسن والحسين، وزوج فاطمة بنت النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم، صاحب الفضائل الكثيرة.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (وروى أبوالدّرداء عن النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم قال: « ما طلعت الشّمس ولا غربت بعد النّبيين والمرسلين على أفضل من أبي بكر») هذا صحيح المعنى، ولكنّه ضعيف الإسناد، إسناده ضعيف لا يصح. [1]

قال: (وهو أحقُّ خلق الله بالخلافة بعد النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم) لماذا هو أحق ؟ يبيّن المؤلف، فيقول: «لفضله وسابقته»، (سابقته) في الإسلام فهو سابق غيره، ودخل في الإسلام قبل الجميع، وفضله معروف، وله مكانته الخاصة عند النَّبي صلّ ىالله عليه وسلَّم، حتّى قيل له: «من أحبُّ النَّاس إليك؟ قال:عائشة، قيل ومن الرّجال؟ قال:أبوها»[2]، وتقديم النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم له في الصّلاة على جميع الصّحابة، قبل موته صلّى الله عليه وسلَّم في مرضه رفض أن يتقدم أحد من المسلمين إلا أبا بكر الصّديق[3]، وفي هذا إشارة إلى أنَّ أبا بكر هو الّذي يخلفه من بعده.

---

[1] رواه أحمد في فضائل الصّحابة(135،137،508،662)، وابن أبي عاصم في السّنّة(1224)والسّاجريّ في الشّريعة(1309،1310) وغيرهم.
[2] متفق عليه: البخاري(3662،4358)، ومسلم(2384) من حديث عمرو بن العاص رضيّ الله عنه.
[3] متفق عليه: البخاري (664،679،683،687،712،713،716،890،1389،2588،3099،3100،3384،24437،443) ومسلم(481) عن عائشة رضيّ الله عنها.

قال: (وإجماع الصّحابة على تقديمه ومبايعته[1]، ولم يكن الله ليجمعهم على ضلالة[2])، لا شكّ أنَّ الله سبحانه وتعالى لا يجمع هذه الأمّة على ضلالة، وقد اتفق الصّحابة رضي الله عنهم على خلافة أبي بكر الصّديق واستقرَّ الأمر له، بل أتت امرأة إلى النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم، فأمرها أن ترجع إليه، قالت: أرأيت إن جئت ولم أجدك ؟ كأنّها تقول: الموت، قال صلّى الله عليه وسلَّم: « إن لم تجديني فأتِ أبا بكر»[3]، ففي هذا دليل على أنّ النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم كان يقدِّمه من بعده في كلّ شيء.

قال: (ثُمَّ من بعده عمر رضي الله عنه؛ لفضله، وعهد أبي بكر إليه) أي: في الخلافة بعد أبي بكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ لفضله ومكانته أيضاً، وهو خير هذه الأمّة بعد أبي بكر الصّديق، وعهد أبي بكر إليه، أي لأنّ أبا بكر الصّديق رضي الله عنه هو الّذي استخلفه من بعده.

قال: (ثُمَّ عثمان رضي الله عنه؛ لتقديم أهل الشّورى له) فعمر بن الخطاب رضي الله عنه جعل الأمر شورى بين خيرة أصحاب النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم، وهم اختاروا عثمان من بين البقية، فعثمان بن عفان له فضيلة، وله مكانة عظيمة، وهو أفضل هذه الأمّة بعد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر، ثُمَّ زد على ذلك أنّه قد اختاره أهل الشّورى للخلافة، بعد مشاورة الكثير من الصحابة، فكان أحقّ بها من غيره .

قال: (ثُمَّ عليّ رضي الله عنه؛ لفضله وإجماع أهل عصره عليه) كان هو خير هذه الأمّة في وقته.

---

[1] رواه البخاري(6830،7323) عن ابن عباس رضيّ الله عنهما.

[2] رواه ابن ماجه(3950)، والحاكم في المستدرك(400) عن أنس بن مالك رضيّ الله عنه.

[3] متفق عليه، البخاري(3659،7220،7360) ، ومسلم(2382) عن جبير بن مطعم رضيّ الله عنه.

قال: (هؤلاء الخلفاء الرّاشدون المهديّون، الّذين قال رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم فيهم: «عليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الرّاشدين المهديّين من بعدي عضُّوا عليها بالنَّواجذ[1]). (عليكم بسنّتي) أي الزموا طريقتي الّتي أنا عليها ولا تخالفوها.

(وسنّة الخلفاء الرّاشدين المهديّين من بعدي) وكذلك الزموا سنّة الخلفاء الرّاشدين المهديّين من بعده، ومن هم هؤلاء الخلفاء الرّاشدون ؟ كما سيأتي إن شاء الله تعالى هم هؤلاء الأربعة.

(الراشدين) من الرشد وهو ضد الغي، والغي الضلال .

(المهديين) أي: الذين هداهم الله إلى الحق.

فهم صالحون موفقون .

(عضُّوا عليها بالنَّواجذ) أي تمسّكوا بها بأسنأنكم، أي كما نقول نحن اليوم (تمسك بها بيديك وأسنانك) أي تمسك بها تمسُّكا شديداً، واحرص عليها؛ كي لا تتفلت منك، فأسباب تفلتها كثيرة، فالسّنّة تحتاج إلى حرص، وتحتاج إلى تمَّسك، تحتاج إلى زهد في الدّنيا، وبعد عن الفتن، وكثرة دعاء بالثبات، وتجنب لشبهات أهل البدع بعدم مجالستهم والسماع لهم؛ فإنَّ ممّا يعكّر على العبد عبادته وطاعته في هذا الزّمن، وفي غيره، وخصوصاً في زمننا هذا الّذي انفتحت فيه الدّنيا على النَّاس انفتاحاً وانبساطاً كبيراً، الّذي يعكّر على العبد عبادته هي الدّنيا؛ لكثرة الإشتغال بها، وترك التّعبد لله سبحانه وتعالى لأجلها، وهذاهو الّذي يضيّع العبد في هذا الزّمن، وقد حذرنا الله تعالى منها تحذيراً كبيراً في كتابه، وفي سنّة نبيّه صلّى الله عليه وسلَّم، وأخبرالنَّبي صلّى الله عليه وسلَّم بما سيقع في آخر الزّمان، وأنَّ النَّاس سينشغلون بالدّنيا، وسيتركون العبادة لأجلها، فحذّر من هذا أشدَّ التّحذير،

[1] سبق تخريجه.

فينبغي أن نكون عقلاء، وأن نأخذ بتحذير النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم، وأن نعلم ما الّذي ينفعنا فنقبل عليه، وما الذّي يضرّنا فنبتعد عنه.

ونشغل أنفسنا بالعلم والعمل .

وبين في هذا الحديث كثرة الخلاف والشر بسبب البدع والأهواء، وطريق النجاة من ذلك التمسك بالكتاب والسنة واتباع منهج الصحابة رضي الله عنهم.

قال: (وقال صلّى الله عليه وسلَّم: «الخلافة من بعدي ثلاثون سنة»[1]، فكان آخرها خلافة عليّ رضي الله عنه) هذا الحديث الثّاني الّذي ذكره و هو حديث صحيح يبين لنا مَن المقصود بالخلفاء الرّاشدين من بعد النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم.

قال: « الخلفاء الرّاشدين المهديّن من بعدي»، وقال في الحديث الآخر: «الخلافة من بعدي ثلاثون سنة» فانتهت السنون الثّلاثون بعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه؛ فمدة خلافة أبي بكر سنتان، وعمر بن الخطاب عشر، وعثمان اثنا عشر وعلي بن أبي طالب أربعة، فهؤلاء هم الخلفاء الرّاشدون المهديّون .

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (ونشهد للعشرة بالجنَّة كما شهد النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم لهم فقال: «أبو بكر في الجنَّة، وعمر في الجنَّة، وعثمان في الجنَّة، وعليّ في الجنَّة، وطلحة في الجنَّة، والزّبير في الجنَّة، وسعد في الجنَّة، وسعيد في الجنَّة، وعبدالرّحمن بن عوف في الجنَّة، وأبوعبيدة بن الجراح في الجنَّة»[2]) هؤلاء العشرة نشهد لهم بالجنَّة كما شهد لهم النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم ولكن الّذين

---

[1] أخرجه أحمد(21919،21921،21924،21925،21928)، وأبو داوود(4646،4647)، والتّرمذيّ (2226) من حديث سفينة رضيّ الله عنه.

[2] أخرجه أحمد(1629،1630،1631،1637،1638،1644،1645) وأبو داوود(4648،4649) والتّرمذيّ (3748) وابن ماجه(133،134) عن سعيد بن زيد رضيّ الله عنه.

شهد لهم النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم بالجنَّة أكثر من هؤلاء، شهد صلّى الله عليه وسلَّم لغيرهم بالجنَّة، ولكن هؤلاء العشرة هم الّذين ذكروا في حديث واحد.

أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ تقدم ذكرهم.

أمّا طلحة فهو طلحة بن عبيد الله من بني تيّم وهو أحدالسّابقين إلى الإسلام.

والزّبير هو ابن العوام من بني قصي بني كلاب ابن عمّة رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم، وهو أيضاً من السّابقين.

و عبد الرّحمن بن عوف من بني زهرة من بني كلاب.

وسعد بن أبي وقاص هو ابن مالك من بني عبد مناف بن زهرة.

وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدويّ، كان أيضاً من السّابقين.

وأبو عبيدة هو عامر بن عبدالله بن الجراح من بني فهر، كذلك هو من السّابقين إلى الإسلام، توفيّ في الأردن في طاعون عمواس.

كلهم من السابقين الذين اسلموا في بداية الإسلام .

قال: (وكلّ من شهد له النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم بالجنَّة شهدنا له بها؛ كقوله: «الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنَّة»[1])، فنشهد بالجنة لكل من شهد له النبي صلى الله عليه وسلم ومنهم الحسن والحسين ابنا علي بن أبي طالب .

الحسن هو الحسن بن علي بن أبي طالب.

والحسين بن علي بن أبي طالب .

---

[1] أخرجه احمد(10999،11594،11618،11756،11777)، وغيرهما عن أبي سعيد الخدريّ رضيّ الله عنه، وأخرجه ابن ماجه(2327) عن ابن عمر رضيّ الله عنهما.

حفيدا النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم، ابنا ابنته فاطمة رضي الله عنها، شهد لهما بأنّهما من أهل الجنَّة، فنشهد لهما بذلك؛ لأنّ الشّهادة بالجنَّة أمر غيبيّ لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، وما علمه الله نبيه صلّى الله عليه وسلَّم، فإذا أخبرنا النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم بأنَّ شخصاً في الجنَّة فهو في الجنَّة، و إن أخبرنا أنّه في النَّار فهو في النَّار، أمَّا إذا لم يخبرنا صلّى الله عليه وسلَّم فلا يمكننا العلم به من جهة أخرى، فلذلك نقتصر على ما جاء في الكتاب والسّنّة.

ولذلك لا نجزم لأحد بالشّهادة، فلا نقول: فلان شهيد؛ لأنّ (شهيد) ما معناها ؟ معناها أنّه في الجنَّة، ومن أين لنا؟ لا ندري، فإنّ الشّهيد: هوالّذي يُقتل في سبيل الله وما أدرانا من الّذي قُتل في سبيل الله، ومن الّذي قُتل في غيره؟ هذه المسألة تتعلق بماذا؟ بالنِّيات والمقاصد، فمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله، ومن قاتل لغير ذلك فليس في سبيل الله.

إذن ليس لنا أن نجزم لأحد بالشّهادة.

ثُمَّ إنّ الشّهادة وصف شرعيّ لا يطلق إلا على من مات في سبيل الله، ولا يطلق على الكافر أبداً وصف الشّهادة، النَّصرانيّ واليهوديّ والمجوسيّ والمشرك كلّهم صاروا شهداء اليوم، أي أحد يموت في عمل يحبونه حتى لو كان كفراً يقولون فيه: فلان شهيد، هذه الكلمة (شهيد) كلمة شرعيّة وصف شرعيّ أعطاه الله سبحانه وتعالى لمن يقتل في سبيله، وجعل له مكانة عظيمة في الجنَّة، فكيف تأتي وتصف كافراً على غير دين الإسلام بالشّهادة؟!

ثُمَّ إنّنا لا نزكي به أحداً، ولا نطلقه على أحد سواء أكان مسلماً أو غير مسلم، ولكنّنا نرجو للمسلم الّذي يجاهد في سبيل الله، فنقول: نرجو له الشّهادة، أو نحسبه شهيداً والله حسيبه.

قال: (وقوله لثابت بن قيس أنّه من أهل الجنَّة) فنشهد لثابت بن قيس أنّه من أهل الجنَّة كما صحّ ذلك عن النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم.[1]

قال: (ولا نجزم لأحد من أهل القبلة بجنّة ولا نار؛ إلا من جزم له الرّسول صلّى الله عليه وسلَّم، لكنّنا نرجو للمحسن ونخاف على المسيء) نرجو للمحسن بإحسانه أن يدخله الله سبحانه وتعالى الجنَّة، ونخاف على المسيء؛ لإساءته أن يكون من أهل النَّار وأن يعذبه الله سبحانه وتعالى على إساءته، لكنّنا لا نجزم لأحد معين لا بجنّة ولا بنار؛ فلا ندري بما يختم له .

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (ولا نكَّفر أحداً من أهل القبلة بذنب، ولا نخرجه عن الإسلام بعمل) هذا الكلام ليس على إطلاقه، الصواب أن نقول: (لا نكّفر أحداً من أهل القبلة بكلّ ذنب)، أمّا اذا كان الذّنب من نواقض الإسلام قد ثبت بدليل الكتاب والسّنّة، أنّه ناقض من نواقض الإسلام فهذا نكفّره؛ لأنّ الله كفّره وليس نحن، فالتّكفير يكون مرجعه إلى الكتاب والسّنّة، فأيُّ عمل حكم عليه في الشّرع سواء كان في الكتاب أوالسّنة بأنّه كفر فنكفّر صاحبه، فمن سبّ الله فهو كافر، ومن سبَّ رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم فهو كافر، فمثل هذه نجزم بها ونقولها ونحكم على فاعلها بالكفر؛ لأنّه ثبت بدليل الكتاب والسّنّة أنّ فاعل هذا الفعل كافر.

أمّا مرتكب الكبيرة فهذا لا نحكم عليه بالكفر؛ لأنّه لم يرد في الكتاب والسّنّة أنّه كافر بل هو مسلم فاسق، أو نقول هو مؤمن ناقص الإيمان أو نقول هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، ولكنّه ليس بكافر، فلا نكفر صاحب الكبيرة كما يفعل الخوارج، فالخوارج هم الّذين يكفّرون أصحاب الكبائر، أمّا أهل السّنّة والجماعة

[1] أخرجه احمد(12399،12480،14060) والبخاري(1613) عن انس بن مالك رضيّ الله عنه.

فلا يكفّرون أصحاب الكبائر؛ لأنّ الأدّلة من الكتاب والسّنّة دلّت على أنّهم ليسوا كفاراً.

قال النبي صلّى الله عليه وسلَّم: «من قال لا إله إلا الله دخل الجنَّة»، قال أبو ذر: وإن زنى وإن سرق يا رسول الله؟ قال رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم: « وإن زنى وإن سرق»، قال: يا رسول الله وإن زنى وإن سرق؟ قال: « وإن زنى وإن سرق»، إلى أن قال له: « إن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي ذر»[1].

إذن الزّاني والسّارق وغيرهما من أصحاب الكبائر هم من أهل الجنَّة إذا ماتوا على التّوحيد، ولكنّهم معرَّضون للعذاب، إن شاء الله سبحانه وتعالى عذَّبهم على ذنوبهم، وإن شاء عفا عنهم؛ لقول الله تبارك وتعالى: { **إنَّ الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**} (النِّساء 48، 116)، فصاحب الكبيرة تحت المشيئة، إن شاء الله عفا عنه و إن شاء عذّبه على كبيرته.

لكن من أهل الكبائر من يعذّب في نار جهنَّم، فلا يتكلّن أحد على ذلك، فبعض أهل الكبائر أخبرنا النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم أنّهم سيعذّبون، وأنّهم سيخرجون من نار جهنَّم بالشّفاعة.

إذن هناك من سيعذّب من أهل الكبائر فلا يتكل أحد على المغفرة، فلا يدري أحد هل سيكون ممّن أراد الله سبحانه وتعالى أن يكونوا من أهل المغفرة أم من أهل العذاب .

قال: (ونرى الحجّ والجهاد ماضياً مع كلّ إمام، براً أو فاجراً، وصلاة الجماعة خلفهم جائزة).

---

[1] متفق عليه البخاري(7487، 6638، 6444، 6443، 6268، 5827، 3222، 2388، 1460، 1307، 1237) ومسلم(990، 94) عن أبي ذر رضيّ الله عنه.

هذا من أصول أهل السنة والجماعة، نرى الحجّ والجهاد خلف كلّ إمّام مسلم ماضياً معه، ونرى أيضاً وجوب طاعته لماذا؟ لأنّ الله سبحانه وتعالى أمر بطاعته فقال: {وأطيعوا الله وأطيعوا الرّسول وأولي الأمر منكم}، وقال عليه الصّلاة والسّلام أيضاً: «اسْمَعْ وَأَطِعْ وَلَوْ لِحَبَشِيٍّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ»[1].

وجاء عن النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم في أحاديث كثيرة «أنّكم ستجدون من بعدي أثرة وأموراً تنكرونها»، قالوا: فما نفعل يا رسول الله؟ قال: «اصبروا حتّى تلقوني على الحوض»[2]، فلا يجوز الخروج على الحاكم المسلم، ولا ترك طاعته إذا كان موافقاً لشريعة الله تبارك وتعالى وليس في معصية، ما لم نر منه كفراً بواحاً.

كما قال النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم: «ما لم تروا منه كفراً بواحاً»[3]، ما لم نر كفراً بواحاً ظاهراً واضحاً، فالواجب علينا أن نسمع ونطيع.

والّذين يستدلّون بأدلّة الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، ليجيزوا لأنفسهم الخروج على الحاكم المسلم؛ هؤلاء ضلال على طريقة الخوارج .

الأدلّة الّتي وردت فيه كلّها أدلّة عامة، جاء ما يخصصها في مسألة وليّ الأمر، حيث إنّنا وإن رأينا منه أنّه يؤثر نفسه علينا في أمور الدّنيا إلا أنّه لا يجوز لنا أن نخرج عليه، فالخروج عليه ليس من النَّهي عن المنكر الّذي أمر الله به.

فهذه أدلّة خاصة وردت في ولاة الأُمور يجب علينا أن نقف عندها، فالدّليل الخاص أقوى من الدّليل العام؛ لذلك قُرر في الأُصول أنَّ الخاص يقضي على العام.

وردت عندنا أدلّة خاصة في ولي الأمر أنّ الإنكار عليه لا يكون بالخروج عليه إلا أن نرى منه كفراً بواحاً، هذا هو الواجب، وهذه هي عقيدة أهل السّنّة والجماعة.

[1] أخرجه أحمد(12752، 12126) والبخاري(7142، 696، 693) عن أنس بن مالك رضيّ الله عنه.
[2] متفق عليه البخاري(7052، 3603) ومسلم (1843) عن عبد الله بن مسعود رضيّ الله عنه.
[3] متفق عليه البخاري(719927055) ومسلم (1709) عن عبادة بن الصّامت رضيّ الله عنه.

وليس هذا إلا حقناً للدماء، وارتكاباً للمفسدة الصّغرى دفعاً للمفسدة الكبرى؛ لأنّ الخروج على الحاكم يؤدي إلى مفاسد كبيرة جداً، منها التّفرق والاختلاف والتّشتت ومنها سفك الدّماء، ومنها انتهاك الأعراض، وأشياء كثيرة .

ترى اليوم النَّاس كلّهم قد أدركوا هذا، ورأوا بأعينهم، هذه التي ترونها المفاسد العظيمة الّتي تترتب على الخروج على الحالكم، أراد الشّارع الحكيم القضاء عليها وسدّ أبوابها بالصّبر على الحاكم الجائر إلى أن يستريح بر أو يستراح من فاجر.

فنرى الحجّ والجهاد ماضياً مع كلّ إمام (في طاعة الله) إنّما الطّاعة في المعروف[1]، أمّا إذا أمر الإمام بمعصية الله فلا طاعة لأحد في معصية الله.

(براً كان أم فاجراً) إذ لا يوجد فرق شرعي، ما لم نر منه كفراً بواحاً، هذا الضّابط الّذي وضعه لنا نبيّنا صلّى الله عليه وسلَّم.

(وصلاة الجمعة خلفهم جائزة) نصلّي خلفهم الجمعة ونحجُّ معهم، ونجاهد أيضاً، ما لم نر منهم كفراً بواحاً.

الصحابة رضي الله عنهم صلوا خلف الحجاج بن يوسف، مع شدة فساده .

قال عبادة بن الصامت: دَعَانَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَايَعْنَاهُ، فَكَانَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا: «أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ»، قَالَ: «إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ». متفق عليه .

[1]متفق عليه: البخاري(7257، 7145، 4340) ومسلم (1840) عن عليّ بن أبي طالب رضيّ الله عنه.

وعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «سَتَكُونُ أُمَرَاءُ فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ عَرَفَ بَرِئَ، وَمَنْ أَنْكَرَ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ» قَالُوا: أَفَلَا نُقَاتِلُهُمْ؟ قَالَ: «لَا، مَا صَلَّوْا». أخرجه مسلم.

قال: (قال أنس: قال النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم: ثلاث من أصل الإيمان: الكفُّ عمّن قال لا إله إلا الله، ولا نكفِّره بذنب ولا نخرجه عن الإسلام بعمل، والجهاد ماضٍ منذ بعثني الله عز وجل حتّى يقاتل آخر أمّتي الدّجال لا يبطله جور جائر، ولا عدل عادل، والإيمان بالأقدار» رواه أبوداود[1])، وهو ضعيف، هذا الحديث ضعيف، وما ذُكر فيه قد بينا أدلّته.

قال رحمه الله تعالى: (ومن السنّة تولي أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم، ومحبّتهم وذِكر محاسنهم، والتّرحم عليهم والاستغفار لهم، والكفّ عن ذكر مساوئهم وما شجر بينهم، واعتقاد فضلهم ومعرفة سابقتهم، قال الله تعالى: {والّذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الّذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلّاً للذين آمنوا ربنا إنّك رؤوف رحيم} (الحشر: 10)، وقال الله تعالى: { محمّد رسول الله والّذين معه أشدّاء على الكفّار رحماء بينهم} (الفتح: 29)).

أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم لهم عند الله تبارك وتعالى منزلة رفيعة عالية، لِما قاموا به من نصرة دين الله تبارك وتعالى، ونصرة رسوله صلّى الله عليه وسلَّم، والجهاد في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، وحفظوا دين الله تبارك وتعالى بحفظ كتابه وسنّة رسوله صلّى الله عليه وسلَّم، وبلّغوها لمن بعدهم بكلّ أمانة وبكلّ

---

[1] أخرجه أبو داود(**2532**) ، وسعيد بن منصور (**2367**)، والبيهقيّ في السّنن الكبرى(18480) عن أنس بن مالك رضيّ الله عنه . وفي سنده يزيد بن أبيّ نشبه مجهول.

صدق، فعملهم هذا بلغ بهم مكاناً عالياً ومنزلة رفيعة عند الله تبارك وتعالى، فأثنى عليهم جلّ وعلا في كتابه الكريم، وأثنى عليهم النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم في سنّته، وجاءت بذلك أدلّة من كتاب الله ومن سنّة رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم، تلزم كلّ مسلم من بعدهم بأن يعرف لهم فضلهم ومكانتهم وسابقتهم، لذلك أوجب الله تبارك وتعالى علينا هذا .

وهم بشر يحصل بينهم من الخلاف ما يحصل بين الأخوة عادة ، حتى لو وصل إلى الاقتتال، يكون عن اجتهاد من أصاب منهم فله أجران، ومن أخطأ فله أجر واحد، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحاكم إذا اجتهد.

من الأدلّة الّتي تدلُّ على فضلهم ومكانتهم ما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى حيث قال تعالى: {محمّد رسول الله والّذين معه} (الفتح/29) الّذين هم الصّحابة، {أشدّاء على الكفَّار رحماء بينهم}، وأيضاً قال الله تبارك وتعالى: { والسّابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والّذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعدَّ لهم جنَّات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم } (التّوبة/100).

فرضي الله سبحانه وتعالى عن السّابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وهم صحابة رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم، وأعدَّ لهم جنَّات تجري من تحتها الأنهار، ولا تعدُّ الجنَّات لمن يرتد عن دين الله إنّما تعدُّ الجنَّات لمن يموت على الإيمان، فهذه الآية فيها ردّ على الرّافضة الّذين يكفِّرون أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم، وردّ على كلّ من سوّلت له نفسه بذلك.

والأدلّة كثيرة في بيان فضل أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم، وفي بيان مكانتهم.

فالواجب على المسلم أن يتولاهم، يعني أن يحبّهم، و ينصرهم، وأن يدافع عنهم، وأن لا يسمح لأحد بالنّيل منهم، وأن يترحم عليهم، ويستغفر لهم، لأنّ الله تبارك وتعالى قال:{**والّذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربّنا اغفر لنا ولإخواننا الّذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلّاً للذين آمنوا ربّنا إنّك رؤوف رحيم**} (الحشر/10).

ولا يجوز ذكر مساوئهم فإنّ النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم، قال: «لا تسبُّوا أصحابي، فوالذّي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه»[1]، وهذا متفق عليه، فلا يجوز لأحد أن يذكر أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم بسوء، بل الواجب هو ذكر محاسنهم وفضلهم، ونشر ذلك بين النَّاس، والسكوت عما حصل بينهم من خلافات .

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (وقال النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم: «لا تسبُّوا أصحابي فإنَّ أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه»[2])

سبّ الصّحابة بما يقتضي كفر أكثرهم؛ كفر وردّة عن الإسلام؛ لأنّ ذلك يؤدي إلى الطّعن في شريعة الله كلّها، فشريعة الله الكتاب والسّنّة ما بلغتنا إلا عن طريق أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم، فإذا كفّر الشّخص أصحاب رسول الله، أو طعن في عدالتهم ودينهم، فقد أفسد الدّين كلّه، وضيّعه. فلذلك من طعن فيهم بذلك فهو كافر مرتدٌّ عن دين الله.

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم سبب النهي عن سبهم؛ وهو أنهم نصروا دين الله ، فمن يحب هذا الدين يحب من نصره، ومن أبغضه يبغض من نصره .

---

1 متفق عليه: البخاري(3673) ومسلم(2541) عن أبي سعد الخدريّ رضي الله عنه.
2 سبق تخريجه.

متن

ومن السنة الترضي عن أزواج الرسول الله صلى الله عليه وسلم، أمهات المؤمنين المطهرات المبرآت من كل سوء، أفضلهن خديجة بنت خويلد، وعائشة الصديقة بنت الصديق، التي برأها الله في كتابه، زوج النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة، فمن قذفها بما برأها الله منه فقد كفر بالله العظيم.

ومعاوية خال المؤمنين، وكاتب وحي الله، أحد خلفاء المسلمين رضي الله عنهم.

الشرح

الفضائل الّتي وردت في الكتاب والسّنّة الّتي تدلّ على فضل الصّحابة، تدخل فيها نساء النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم؛ لأنّهن صحابيات، ولهنَّ أيضاً فضائل خاصة وردت في السّنّة عن النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم، وكفاهنَّ شرفاً أنّهنَّ زوجات المصطفى صلّى الله عليه وسلَّم، فالواجب معرفة فضلهنّ ومكانتهنّ وحفظ أعراضهنّ وعدم الخوض في ذلك، والواجب أيضاً معرفة شرفهنّ، وأنّهنّ شريفات مؤمنات صالحات طاهرات.

ومن قذف عائشة رضي الله عنها بما برأها الله منه وهي فاحشة الزّنا، فهو كافر مرتدٌّ عن دين الله، لأنّه مكذِّب لكتاب الله، إذ إنَّ الله سبحانه وتعالى برأها من ذلك في كتابه في سورة النور {وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُون مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ}[النور: 26] فيقول هي بريئة، وهو يقول هي

متهمة مكذباً بكتاب ربه تبارك وتعالى، فهذا كافر مرتدٌّ عن دين الله، كما ذكر المؤلف رحمه الله تعالى، فمن قذفها بما برأها الله منه وهي فاحشة الزّنا، فقد كفر بالله العظيم.

وزوجات النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم اللّاتي كان فراقهنّ بالموت هن: خديجة بنت خويلد، وعائشة بنت الصّديق أبي بكر، وسودة بنت زمعة، وحفصة بنت عمر بن الخطاب، وزينب بنت خزيمة الهلالية، وأُم سلَمة بنت أبي سلمة المخزومية، وزينب بنت جحش الأسديّة، وجويرية بنت الحارث الخزاعية، وأم حبيبة رملة بنت أبي سفيان، وصفية بنت حُيي بن أخطب، وميمونة بنت الحارث الهلاليّة.

هؤلاء زوجات النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم اللّاتي كان فراقهنّ بالوفاة.

منهنّ من ماتت قبل النبي صلّى الله عليه وسلَّم، وهما خديجة وزينب بنت خزيمة. وأمّا مارية أمّ إبراهيم ابن النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم فهذه ليست زوجته، كانت أمةً من إمائه ثُمَّ صارت أمّ ولده.

قال: (ومعاوية خال المؤمنين، وكاتب وحي الله، أحد خلفاء المسلمين رضي الله عنه) هو معاوية بن أبي سفيان صهر النبي صلى الله عليه وسلم أخو زوجته أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان.

نص على فضله بالذّات وعلى وجوب تولّيه ومحبّته، لشدة محاربة الرّافضة والشّيعة بأصنافها لهذا الرّجل، فهم لا يحبّونه ويسبّونه، ونحن نحبّه ونتولّاه لأنّه أحد أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم، وهم من أراد منهم أن يكيد لهذا الدين ويطعن في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، يبدؤون به يستغلون عاطفة الناس ناحبة علي بن أبي طالب ويطعنون فيه لأنه حارب عليًّا رضي الله عنهم

جميعاً، لذلك من سمعته يطعن فيه أو يستنقصه فاتهمه على الإسلام واحذره فإنما يريد ينك.

وهل يوصف معاوية- وهو أخ لأم المؤمنين أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان رضي الله عنهم جميعاً - بخال المؤمنين أي هل يوصف أخوة أمّهات المؤمنين، بأنّهم أخوال المؤمنين؟

هذا لم يرد فيه دليل لا من كتاب الله ولا من سنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا تقاس الأخوة أوالأمومة أوالأبوة أو غيرها الشّرعيّة الدّينيّة، بالأمومة والأبوة والأخوة النسبية، لذلك بما أنّه لم يرد في الكتاب والسّنّة تسميتهم أخوال، فلا ينبغي أن يسمّوا بهذا الأسم، وقد ذكر ابن تيمية رحمه الله تعالى خلاف أهل العلم في جواز مثل هذه التّسمية[1].

متن

ومن السنة السمع والطاعة لأئمة المسلمين وأمراء المؤمنين - برهم وفاجرهم - ما لم يأمروا بمعصية الله، فإنه لا طاعة لأحد في معصية الله، ومن ولي الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به، أو غلبهم بسيفه حتى صار خليفة، وسمي أمير المؤمنين، وجبت طاعته وحرمت مخالفته والخروج عليه وشق عصا المسلمين.

ومن السنة هجران أهل البدع ومباينتهم، وترك الجدال والخصومات في الدين، وترك النظر في كتب المبتدعة، والإصغاء إلى كلامهم، وكل محدثة في الدين

[1] راجع منهاج السّنّة النبويّة(369/4).

بدعة، وكل متسم بغير الإسلام والسنة مبتدع، كالرافضة، والجهمية، والخوارج، والقدرية، والمرجئة، والمعتزلة، والكرامية، والكلابية، ونظائرهم، فهذه فرق الضلال، وطوائف البدع، أعاذنا الله منها.

وأما النسبة إلى إمام في فروع الدين، كالطوائف الأربع فليس بمذموم، فإن الاختلاف في الفروع رحمة، والمختلفون فيه محمودون في اختلافهم، مثابون في اجتهادهم واختلافهم رحمة واسعة، واتفاقهم حجة قاطعة.

نسأل الله أن يعصمنا من البدع والفتنة، ويحيينا على الإسلام والسنة، ويجعلنا ممن يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحياة، ويحشرنا في زمرته بعد الممات برحمته وفضله آمين.

وهذا آخر المعتقد والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً.

الشرح

قال رحمه الله تعالى: (ومن السّنة السّمع والطّاعة لأئمّة المسلمين وأمراء المؤمنين، برّهم وفاجرهم، ما لم يأمروا بمعصية الله، فإنّه لا طاعة لأحد في معصية الله) السّمع والطّاعة لأئمّة المسلمين هذا دلّت عليه النّصوص من الكتاب والسّنّة، ولكن ذلك مقيّد بطاعة الله، أمّا إذا أمروا بمعصية الله تبارك وتعالى فلا طاعة لأحد يعصي الله تبارك وتعالى في معصيته، قال الله تبارك وتعالى: {**يا أيُّها الّذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرّسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن**

تأويلاً}(النِّساء/59)، يدخل في هذه الطّاعة، طاعة الأُمراء وطاعة العلماء كذلك، وقال صلّى الله عليه وسلَّم: «السّمع والطّاعة على المسلم فيما أحبّ وكره ما لم يؤمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة».

وجاء عن النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم أنّه قال: « يكون عليكم أمراء تعرفون وتنكرون فمن أنكر فقد برئ ومن كره فقد سلَّم ولكن من رضيّ وتابع»، قالوا: أفلا نقاتلهم؟ قال:«لا ما صلّوا، لا ما صلّوا»، أي من كره بقلبه وأنكر بقلبه، وهذا الحديث عند مسلم. هذا الحديث الأخيريدلّ على عدم جواز الخروج عليهم ما لم نر منهم كفراً بواحاً، أو ما لم يصلّوا.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (ومن وليّ الخلافة واجتمع عليه النَّاس ورضوا به أو غلبهم بسيفه، حتّى صار الخليفة، سمّي أمير المؤمنين، وجبت طاعته وحرمت مخالفته، والخروج عليه وشقّ عصا المسلمين) هذا للحديث الّذي ذكرناه فإن النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم قال: « تعرفون وتنكرون» هذا يدلُّ على وجود المنكر منهم،ونحن نعرفه منهم « فمن أنكر فقد برأ، ومن كره فقد سلم» من أنكر بقلبه فقد برأ وكره أيضاً بقلبه فقد سلم « ولكن من رضيّ وتابع»، رضي بأعمالهم المنكرة، وتابعهم عليها « قالوا أفلا نقاتلهم»، قال: « لا ما صلّوا، لا ما صلّوا» فنهى النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم عن قتالهم والخروج عليهم، وإن رأينا منهم منكراً؛ فلا يستدلّن أحد بوجوب الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، ويقول هؤلاء يفعلون المنكرات وجب الخروج عليهم من أجل النّهي عن المنكر، هذا الاستدلال باطل؛ لأنّ تلك الأدلة أدلّة عامّة تدلُّ على وجوب الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، لكن الحاكم له معاملة خاصة دلّت عليها هذه الأحاديث.

والأدلّة الخاصة كما معلوم ومقرر عند العلماء: أنّ الدّليل الخاص أولى وأقوى في الدّلالة من الدّليل العام، الدّليل العام يبقى على عمومه.

لكن إن وجد في المسألة دليل خاص فيعمل فيها بالدّليل الخاص، هنا ظهور المنكر من ولاة أمور المسلمين هذا ورد فيه دليل خاص بكيفيّة التّعامل معهم، وقد قال عليه الصّلاة والسّلام في أحاديث أخرى قال: «فَإِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الحَوْضِ»، هذه هي طريقة حل هذه المشكلة وهي الصّبر.

فهذا يبيّن كيفيّة التّعامل مع الأمراء الّذين عندهم من المنكرات ما عندهم، فلا يجوز الخروج عليهم؛ لأنّ الخروج عليهم يؤدي إلى مفسدة أكبر بكثير من وجود المنكر الّذي رأيناه، الخروج عليهم يؤدي إلى تشتيت الأمّة وتفريقها ويؤدي أيضاً إلى سفك الدّماء وانتهاك الأعراض، وإلى ذهاب الأموال، وذهاب الأمن، كلّ هذا يؤدي إليه الخروج على الحاكم، ولا يحل المشكلة بل يزيد الشر شراً، فالصّبر عليه هو الواجب في مثل هذه الحالة بالقيد الّذي ذكره النّبي صلّى الله عليه وسلَّم، قال: « لا ما صلّوا، لا ما صلّوا»، وجاء في حديث عبادة بن الصّامت أيضاً: « بايعنا رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم على السّمع والطّاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا، وأثره علينا»، أي وإن وجدنا أن الحاكم يؤثر نفسه بالخيرات علينا « وأن لا ننازع الأمرأهله؛ إلا أن ترون كفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهان» إلا إن رأيتم منهم كفراً واضحاً صريحاً، عندكم فيه دليل، تقفون أمام الله تبارك وتعالى، وتقولون هذا دليل على كفره، وهذا أيضاً تشترط له القدرة .

قال رحمه الله تعالى: (ومن السّنة هجران أهل البدع، ومباينتهم، وترك الجدال والخصومات في الدّين، وترك النَّظر في كتب المبتدعة والإصغاء إلى كلامهم، وكلّ محدثة في الدّين بدعة).

بعد أن ذكر المصنّف وجوب هجران أهل البدع، آخر شيء ذكره لنا ما هي البدعة.

أمّا هجران أهل البدع فواجب لماذا؟ الهجر للمبتدع يكون لأمرين:

الأمر الأول: هجر تأديبي لردعه، وزجره عمّا وقع فيه من بدعة، دليل ذلك حديث كعب بن مالك رضي الله عنه، الّذي هجره النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم واثنين معه عندما عصوا أمر النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم، فهو هجر تأديبي على هذا الفعل.

الأمر الثّاني: الهجر الوقائيّ، وهذا الهجر يكون لمن؟ لرؤوس المبتدعة الّذين عندهم شبهات يلقونها على النَّاس، فهؤلاء هجرهم واجب؛ لأنّك لا تأمن على نفسك أن يغمسوك في بدعهم، وهذا الغمس في البدعة، وتلّقي القلب لها، وتشرُّبها لم يأمن أئمّة السّلف على أنفسهم منه، أئمّة السّلف لم يأمنوا على أنفسم من أن تدخل البدع في قلوبهم وتتشربها، فما بالك بحالنا نحن؟! نحن من باب أولى؛ لأننا أضعف منهم إيماناً وعلماً.

فلا يقول أحدكم: والله أنا أجلس إلى المبتدع، فما وجدت عنده من خير أخذته، وما وجدت من باطل رددته، أنت عندما يأتيك الباطل ربما لا تستطيع أن تردّه كما ذكرالنَّبي صلّى الله عليه وسلَّم في حديث الدّجال قال: «مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ، فَوَاللَّهِ إِنَّ الرَّجُلَ **لَيَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسِبُ** أَنَّهُ مُؤْمِنٌ **فَيَتَّبِعُهُ**، مِمَّا يَبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ»، أَوْ «لِمَا يَبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ» [1]، يأتيه وهو واثق من نفسه، واثق من إيمانه، عندما يأتي ويرى الشّبهات الّتي مع الدّجال ويسمعها ينغمس معه في شبهاته.

هذا الحديث دليل على مجانبة أي شيء فيه شبهة تفتنك في دينك وجب عليك أن تبتعد عنه، ولا تحسن الظّن بنفسك أبداً فقلوب العباد ضعيفة تتقلب، وهي بين

[1] أخرجه أحمد(19968، 19875) عن عمران بن حصين رضيّ الله عنه.

إصبعين من أصابع الرّحمن يقلّبها كيف يشاء[1] فلا تدري عن نفسك أن تتشرب هذه البدعة فتخسر دنياك وآخرتك.

وهذا الدّليل الّذي ذكرناه في الدّجال، هو دليل الهجر الوقائيّ، وإجماع السلف حاصل فيه نقله الصابوني والبغوي وغيرهما.

لكن هذا الهجر لا يكون لأي أحد، شخص لا يفهم شيئاً في العلم ولا يدري ماهي الشّبهة، ولا يعرف كيف يلقيها، مثل هذا لا ينطبق عليه هذا الكلام، إنّما الكلام ينطبق على رؤوس أهل البدع.

والهجر التّأديبيّ يعرف العلماء متى يكون نافعاً، ومتى لا يكون.

أمّا الهجر الوقائيّ فكما ذكرنا إذا كان الشّخص من رؤوس أهل البدع، أو ممّن ينظر لأهل البدع ويلقي الشّبهات فهذا هجره واجب.

وأما الجدال والخصومات: الجدل الّذي هو المنازعة مع الخصم للتغلّب عليه، وهذا الجدال ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: يكون الغرض منه إثبات الحق وإبطال الباطل لمن يريد الحق فقط فهذا مأمور به، إمّا أمراً واجباً أو أن يكون مستحبّاً على حسب الحال؛ لقول الله تبارك وتعالى: «**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالّتي هي أحسن إنَّ ربك هو أعلم بمن ضلَّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين**}(النَّحل/125)، لكن هذا الجدّال لا يفعله شخص فارغ أو عنده شيء من الثّقافة ، لا، هذا الجدال يكون من شخص مليء، يعرف كيف يردّ الشّبهات في المسألة الّتي يريد أن يجادل فيها.

---

[1] أخرجه أحمد (6610، 6569) ومسلم (2654) عن عبد الله بن عمرو رضيّ الله عنه.

القسم الثّاني: أن يكون الغرض منه الغلبة والانتصار للنفس، فهذا الجدال هو الجال القبيح المذموم الّذي يجب على المسلم أن يبتعد عنه، قال الله تبارك وتعالى: {**هاأنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدّنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أمَّن يكون عليهم وكيلاً**}(النِّساء/109)، وقال سبحانه وتعالى{**ما يجادل في آيات الله إلا الّذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد**}(الحج/4)، لأنّ الحق عندهم واضح وبيِّن ولكن يجادلون عناداً وتعنُّتاً فقط.

قال رحمه الله تعالى: (وكلّ محدثة في الدّين بدعة) هذا هو تعريف البدعة.

البدعة: هي كلّ محدثة في دين الله، تتقرب بها إلى الله، فأيُّ عمل تتقرب به إلى الله سبحانه وتعالى، ولا أصل له في الكتاب والسّنّة ولا كان عليه السلف؛ فهو من البدع. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ».

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (وكلّ متسمّ بغير الإسلام والسّنّة مبتدع) أي كلّ من له سمة أي: علامة يعرف بها غير الإسلام والسّنّة فهو مبتدع.

قال: (كالرّافضة، والجهميّة، والخوارج، والقدريّة، والمُرجئة، والمُعتزلة، والكراميّة، والكلابيّة، ونظراتهم، فهذه فرق الضّلال وطوائف البدع أعاذنا الله منها)

الرّافضة: هم الّذين عندهم غلوّ في آل البيت، فرقة من فرق الشّيعة، عندهم غلّو في آل البيت حتّى اتخذوهم أرباباً ، فعبدوهم مع الله ، وتقربوا إليهم بأنواع القرب، وجعلوهم معصومين لا يخطئون في مسائل التّشريع، فأنزلوهم منزلة الأنبياء والمرسلين، وهذا من الغلوّ.

قال موسى بن أبي عائشة رحمه الله تعالى وهو أحد أئمّة السّلف: «ما أمر الله تبارك وتعالى عباده بأمر إلا وللشيطان فيها نزغتان، فإما إلى غلو، وإما إلى تقصير».

لا يبالي بأيّهما ظفر، أي واحدة عنده جيدة سواء كان إفراط، غلوّ، مجاوزة حد، أو كان تقصر وميوعة، وعدم مبالاة، فهذه وهذه من مقاصد الشّيطان في أوامر الله تبارك وتعالى، هؤلاء الرّافضة غلوا في آل البيت وقصَّروا وفرّطوا في أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم فكفَّروا الصّحابة، وغلوا في آل البيت فعبدوهم مع الله تبارك وتعالى.

وهؤلاء الرّافضة كفَّار لعدة أسباب: منها أنّهم يدّعون أنّ كتاب الله محرّف.

ومنها أنّهم يرمون عائشة رضي الله عنها بالزّنا، وقد ذكر غير واحد من علماء الإسلام ومنهم عبد الله بن مسعود أنّ من أنكر حرفاً من كتاب الله مجمعاً عليه بأنّه كافر، ذكر ذلك ابن مسعود، وجمع من علماء الإسلام نقلوا الاتفاق على ذلك[1] . وكذلك عائشة رضي الله عنها نقلوا الاتفاق على أن من رماها بالزّنا فهو أيضاً كافر[2]؛ لتكذيبه لكتاب الله تبارك وتعالى، والرّافضة وقعوا في هذا وفي ذاك.

وأهل السّنّة وسط ما بين النّواصب والرّافضة.

النّواصب هم الّذين نصبوا العداء لآل بيت النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم.

وأهل السّنّة وسط، يحبُّون المسلمين من آل البيت ويحترمونهم، ويعرفون لهم قدرهم، ولا يتجاوزن الحدّ فيهم، فلا إفراط ولا تفريط.

---

[1] فضائل القرآن للقاسم بن سلام(115،936)، مصنف ابن أبي شيبة(30109)، والمناظرة في القرآن لابن قدامة المقدس(ص33).

[2] الصّارم المسلول(571).

وأمّا **الجهميّة** فهي فرقة من فرق المتكلمين؛ الذين يقررون العقيدة في الأسماء والصفات بالعقل والكلام لا بالشرع، ينتسبون إلى الجهم بن صفوان الّذي قتل عام مائة وواحد وعشرين، مذهبهم في الأسماء والصّفات التّعطيل والنَّفي، وفي القدر القول بالجبر، وفي الإيمان القول بالإرجاء فجمعوا البلايا.

أمّا **الخوارج**: فهم الّذين خرجوا على عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وقاتلهم عليّ بن أبي طالب، وكان خروج أولهم في عهد النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم .

ذاك الرّجل الّذي قال: اعدل يا محمّد[1]، والخوارج هؤلاء معروفون بتكفير مرتكب الكبيرة، وقد ذكر ابن تيمية في منهاج السنة، أنهم يكفرون الحكام بالحكم بغير ما أنزل الله، ويكفرون المسلمين بالتولي ، وهذا الحاصل اليوم من داعش والقاعدة . يكفرون المسلمين ويستبيحون دماءهم، فتجدهم يفجرون المساجد بالمصلين، وغير المساجد وهم يعلمون أن أكثر من سيموت بتفجيرهم من المسلمين ولا يبالون ، هذه علامتهم التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم في الخوارج: قال: «يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان» .متفق عليه

أمّا **القدريّة**: فهم الّذين يقولون بنفيّ القدرعن أفعال العبد، أي العبد هو الّذي يخلق فعله وهو الّذي يوجد فعله، وأنَّ الله سبحانه وتعالى لم يقدّر فعل العبد ولم يخلقه.

وأمّا **المرجئة**: فهم الّذين يرجئون العمل عن الإيمان، أي يؤخرون الأعمال عن الإيمان، فلا يدخلون أعمال الجوارح في الإيمان عندهم، لا يدخلون أعمال الجوارح في الإيمان، هؤلاء هم المرجئة.

---

[1] متفق عليه : البخاري(3344،3610،4351،4667،5058،6463،6931،6933،7432،7562) ومسلم (1064) عن أبي سعيد رضيّ الله عنه.

وأمّا **المعتزلة** فهم أتباع واصل بن عطاء الّذي اعتزل مجلس الحسن البصري، وكان يقول بالمنزلة بين المنزلتين بالنِّسبة للفاسق، فيقولون: الفاسق في الدّنيا في منزلة بين المنزلتين: لا هو مؤمن، ولا كافر، وفي الآخرة هو مخلَّد في نار جهنَّم، فوافقوا الخوارج في الحكم، وهم في الأسماء والصّفات معطّلة كالجهميّة.

وأمّا **الكراميّة** فهم أتباع محمد بن كرام يميلون إلى التّشبيه والقول بالإرجاء..

أمّا**السّالمة** أتباع رجل يقال له محمد بن سالم يقولون بالتّشبيه وفيهم تصوف.

ومن الفرق المبتدعة كذلك فرقة **الأشاعرة** وهم من فرق المتكلمين التي تشمل الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والكلابية والماترودية وغيرهم، وهؤلاء يجتمعون في تقديم العقل على النقل في الاعتقاد، ويقررون عقيدتهم بالكلام .

فينفون الصفات عن الله، وهم متفاوتون في ذلك، الأشاعرة يثبتون سبع صفات وينفون الباقي، والأشاعرة مرجئة في الإيمان، وجبرية في القدر .

ومن الفرق المبتدعة **الصوفية،** وهؤلاء يقوم دينهم على أساسين: الأول: الشرك بعبادة القبور والغلو في الأولياء، والثاني: البدع بإحداث دين جديد، فكثير من عباداتهم محدثة لا أصل لها في الشرع .

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (وأمّا بالنِّسبة إلى إمام في فروع الدّين، كالطّوائف الأربع فليس بمذموم)

يعني لا بأس أن يتخذ الشّخص إماماً في المسائل الفقهية.

(في فروع الدّين) بعض العلماء يقسم الدّين إلى أُصول وفروع، ويعنون بالأُصول: مسائل الاعتقاد، وبالفروع: مسائل الفقه.

(كالطّوائف فليس بمذموم) يعني بالطّوائف الأربع: الأحناف، والمالكيّة، والشّافعيّة، والحنابلة.

والصّحيح أنّه مذموم إذا كان على وجه التّعصب، إذا كان على وجه التّعصب له، وتقديم قوله على كتاب الله تعالى، وسنّة رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم، وعقد الولاء والبراء على اجتهادات الرجال؛ فهو مذموم، سواء كان في الاعتقاد أو في الفقه لا فرق.

والابتداع في دين الله سواء كان في الاعتقاد أو في الفقه كلّه مذموم فإنَّ النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم قال: «كلّ محدثة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النَّار»[1]، ولم يقل بدعة العقيدة ولا الفقه، كلّ البدع مذمومة وكلّها في النَّار أي أصحابها في النَّار.

أمّا إذا اتبع إماماً من الأئمّة، وتبنى أُصوله؛ لأنّه يعتقد بأنّ أصوله أقرب إلى الصّواب وأصح وهي داخلة تحت أدلّة شرعية صحيحة، فلا بأس بذلك بشرط: أنّه إذا ورد عنده الدّليل من الكتاب أو من السّنة قدم الدّليل من الكتاب والسّنّة، ولم يتعصب للرجال، ولكن قل من ينجو من ذلك من أصحاب المذاهب .

قال: (فإن الاختلاف في الفروع رحمة) هذا الكلام غير صحيح؛ فالاختلاف ليس برحمة، والحديث الوارد في هذا المعنى حديث ضعيف والاختلاف كلّه شر.

قال: (والمختلفون فيه محمودون في اختلافهم، محمودون على اجتهاداتهم) إن اختلفوا باجتهاد في مسائل الاجتهاد فقط، وكانوا بعيدين عن الهوى.

[1] سبق تخريجه.

فالمسائل الشرعية منها ما يجب فيه الاتباع فقط ولا يجوز الاجتهاد فيها ، وهي النصية الوارد فيها نصوص محكمة، المتفق على معناها بين السلف؛ كمسائل الاعتقاد وغيرها ، ومنها ما يدخله الاجتهاد كالتي لا نص محكم فيها، أو فيها أدلة متعارضة، واختلف السلف فيها.

(مثابون في اجتهادهم، واختلافهم رحمة واسعة، واتفاقهم حجة قاطعة) اتفاقهم حجة قاطعة صحيح؛ لقول النَّبي صلّى الله عليه وسلَّم: «لا تجتمع أمّتي على ضلالة»[1]. وقوله صلّى الله عليه عليه وسلَّم: «لا تزال طائفة من أمَّتي على الحق»[2]، فالحق لا يزول البتّة من هذه الأمّة.

قال رحمه الله تعالى: (نسأل الله أن يعصمنا من البدع والفتنة) آمين.

(ويحينا على الإسلام والسّنّة، ويجعلنا ممّن يتبع رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم في الحياة، ويحشرنا في زمرته بعد الممات، برحمته وفضله آمين، وهذا آخر المعتقد، والحمد لله وحده، وصلّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليما). والحمد لله، ونسأل الله أن يتقبل منّا ومنكم..

---

[1] سبق تخريجه.

[2] متفق عليه البخاري(3640،731،7459)، ومسلم(1921) عن المغيرة بن شعبة رضيّ الله عنه.